
روايات مصرية للجيب
القرار الصعب
زهور
94



هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١

مدت (وفاء) نظرها من نافذة القطار ، وشعرت بأن حياتها تجرى بنفس السرعة .. لم يكن القطار ليتوقف بين القاهرة وطنطا ، كذلك حياتها ، محطتان فقط .. فى رحلة ذات اتجاه واحد ، ذهاب بلا عودة ..

كانت رأس (ولاء) الملقاة على كتفها تشعرها بأنها مقيدة على المقعد .. بل مقيدة فى حياتها كلها .. إنها هى المسئولة عنها وحسب .. لا أمها ولا أبوها ..

ذكرتها هذه الرحلة برحلة شبيهة كانت - إلى حد ما - هى الأخرى ذهابًا بلا عودة - على الأقل هذا إحساسها بها - لأول مرة تعود من هذه الرحلة التى قامت بها منذ سنوات ، تشعر الآن بأنها طويلة .. رحلة بين نفس المحطتين .. الوقائع مختلفة ، ولكن الشعور بالألم والهوان والرهبة واحد ، وفوق كل ذلك نفس التساؤل الفظيع عما إذا كان القرار الذى اتخذته هو الصواب !

إن مرارة الرحلة السابقة ماتزال تملأ نفسها .. كانت (ولاء) ملقية رأسها على كتفها فى المرة السابقة أيضًا ، لكنها لم تكن نائمة ، كانت متأكدة أنها تتظاهر بالنوم ، ومع ذلك لم تحاول الحديث معها .. كل منهما استغرقت فى أفكارها وهمومها .. كان عقل (وفاء) سارحًا فى الحياة التى تركتها وراءها فى طفولتها .. عندما وجهت لها (ولاء) الحديث بصوت خافت ، وهى مازالت تسند رأسها على صدر (وفاء) :

- (وفاء) .

استغرقت (وفاء) لحظة قبل أن تنتبه وترد عليها بنفس النبرة الخافتة :

- نعم .

- كيف سندخل المدرسة بعد بداية السنة الدراسية ؟

- لاتقلقى ، بالتأكيد بابا سيتصرف .

الدراسة هى كل ما تفكرين فيه يا (ولاء) .. فكرت (وفاء) فى سخرية متسائلة :

- هل سنقبل فى مدارس القاهرة ؟

- بالتأكيد .

اعتدلت (ولاء) جالسة .

- ما اسم زوجة أبى ؟

- (ناهد) .

- وبماذا سنناديها ؟ أأقول لها ماما ؟

- لا طبعًا .

اندفعت الكلمات من فم (وفاء) بنبرة حادة سريعة غاضبة ، برغم معرفتها أن أختها لا تقصد شيئًا . كانت أصغر من أن تفهم وحدها .. فكلمتها بنبرة أقل حدة بمجرد أن تمالكت أعصابها .

- إنها أصغر من ماما بكثير ، يكفى أن نناديها أبلة .

- هل سينتظرنا بابا فى المحطة ؟

عادت ترد على أسئلة (ولاء) بصبر :

ـ لا .. سأتصل به من هناك ليأتى ويأخذنا .

بدأت (ولاء) فى التحرك بقلق على مقعدها .. هل كانت سعيدة أم حزينة .. تساءلت (وفاء) .. الشىء المؤكد أنها كانت تشعر بالإثارة .

ـ ألن نرى ماما مرة ثانية ؟

شعرت (وفاء) بألم يغزو صدرها .. هذا الخاطر مر فى ذهنها هى الأخرى ، طمأنت أختها وهى نفسها لا تعرف الإجابة ، وعلى أقل تقدير تستبعد قيامهما برحلة عودة إلى طنطا .

ـ أكيد أننا سنراها .. بإذن اللّه .

عادت (ولاء) تتململ .

ـ هل أنت متأكدة أن بابا رجع من السفر ؟

عادت تكرر لها إجابة هذا السؤال للمرة الثالثة أو الرابعة بصبر وهدوء .

ـ نعم متأكدة .. لقد اتصلت بالمكتب والأستاذة (ثريا) أكدت لى أنه رجع .

إن (ولاء) محقة فى قلقها ، ليتنى اتصلت به مرة ثانية وانتظرت حتى أخبره .. هكذا فكرت (وفاء) .. لكن ماذا كانت ستقول له ؟ كانت كلماته واضحة : «لن آتى لآخذكما .. إذا أردتما المجىء فتعاليا بنفسيكما .. ولن تضلا الطريق إلى بيتى » .

فكرت (وفاء) فى صمت : ألم يكن يكفيها ما هى فيه .. فبرغم أنها هى نفسها ليست أكثر من طفلة فهى التى اتخذت القرار وياليته عنها وحدها ، لكن عن (ولاء) أيضًا .. لم يكن يعقل أن ينفصلا .. يكفيهما الاختيار بين والدهما ووالدتهما .. وصلنا دون أن نشعر بالطريق .. أفاقت من ذكرياتها ..

أيقظت (ولاء) ونزلتا .. لم يكن معهما حقائب .. بينما كانت (وفاء) تضغط زر الجرس ، كانت يد (ولاء) قد سبقتها وفتحت بالمفتاح .. لم تعلق .

استقبلتهما (ناهد) بابتسامة عريضة قائلة :

ـ أهلاً وسهلاً .. حمدًا للّه على سلامتكما .

ـ أهلاً كيف حالك يا أبلة :

قالت (وفاء) ذلك بابتسامة عريضة ، بينما قفزت (ولاء) إلى حضنها تقبلها وهى تصيح :

ـ لقد افتقدتك يا نانا .

ـ أنا الأخرى يا حبيبتى .

ربتت (ناهد) على وجنتها فى حنان .

ـ أين (مودى) ؟

سألت (ولاء) وهى تبحث بعينيها عنه .

ـ إنه نائم .. لقد انتظركما طويلاً ثم غلبه النوم .. لقد وعدته بأن أوقظه .

قالت وهى تتحرك نحو حجرته ، لكن (وفاء) أوقفتها قائلة :

ـ لا تفعلى .. نراه فى الصباح .

ـ نعم ، لاداعى .. برغم أنى أحضرت له حب العزيز وحصان من الحلاوة .. لا بأس أن ينتظرا للغد .

حملت نبرة (ولاء) خيبة أمل أضحكت زوجة أبيها :

ـ لا بل سأوقظه ..

اتجهت (ولاء) إلى حجرته محدثة زوجة أبيها التى قالت لهما :

ـ اتركى لى هذه المهمة .

التفتت (ناهد) إلى (وفاء) ضاحكة .

ـ أترين ؟ إنها ستموت لو لم تره ما أحضرته له .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (وفاء) وهى تومئ لها موافقة ..

سألتها (ناهد) بقلق :

ـ ماذا هناك ؟

قالت (وفاء) بنبرة حزينة :

ـ لا شىء .. كما توقعت .. لم تهتم .

جلست زوجة أبيها وأشارت لها لتجلس بجانبها :

ـ تعالى ، اجلسى واحكى لى .

ـ لقد أخبرتك من قبل أن أذهب ، لكن أنت أصررت يا أبلة .

بكت (وفاء) فاقتربت منها زوجة أبيها تهدئها :

ـ اعذريها يا (وفاء) .. اعذريها ، لم يكن من السهل عليها أن تراكما تبتعدان عنها وتتركاها منذ البداية .

ـ أنت تعرفين كما تعرف هى بالضبط .. لم يكن القرار قرارى ولا اختيارى . أنت تعرفين أن مواردها المحدودة لم تكن لتغطى مصروفاتنا ، وبابا كان سيأخذنى على أى حال ، وبعدها بسنين قليلة يأخذ (ولاء) ، لم يكن الأمر بيدى .. كنت مثلها تمامًا .. لقد حاولت إعطاءها فرصة أحسن لتبدأ حياتها ـ مرة ثانية ـ مبكرًا .. هل أخطأت فيما فعلته ؟

ـ اهدئى يا حبيبتى .. أنا لا ألومك .. فقط ألتمس

لها العذر .. لقد حاولتْ معك كثيرًا .. إن مجيئها للمدرسة .. كانت تأخذ من أجله إجازة وتسافر فقط لكى تراك أنت و(ولاء) ..

لم يكن بيدها شىء ..

ـ وهل كان من السهل على أن أفسر لزميلاتى لماذا تزورنى أمى فى المدرسة ؟ الوكيلة تأتى بنفسها لتنادينى لأرى أمى .. تنهدت (وفاء) بقوة وأغمضت عينيها وهى تتذكر .

ـ أنا أذكر أول عيد أم مرّ علىّ .. لم أجد فى نفسى الشجاعة لأقابلها وحدى ، جررت (نهى) صديقتى فى يدى .. لكن الوكيلة لم تدعها تدخل معى .. ماذا كنت سأقول لها .. لم أستطع حتى أن ألقى بنفسى بين ذراعيها .. ماذا كانت تتوقع ؟! لم يكن الانتقال سهلاً . أنت تعلمين .. بابا ، وكل شىء .

حركت يدها فى ألم وشعرت بثقل فى تنفسها .

ـ (وفاء) أنا لا ألومك قط .. ربما أنا أخطأت عندما

نصحتك بأن تذهبى وتسأليها .. لا أدرى ما الصواب : لكن لا تنسى أن لها حقًا عليك ..

ربتت (ناهد) على يدها وهى تكمل :

ـ لماذا لم تبقىْ أكثر ؟ ربما كنتما قد تفاهمتما أحسن .

ـ لم أستطع .. فقط لم أستطع ..

أحست (ناهد) بتوترها .. فغيرت الموضوع ..

ـ كيف حال ابنها (رامى) .. أهو بخير ؟

ـ نعم بخير .. وزوجها كذلك رجل طيب .

قامت زوجة أبيها ومدت يدها إليها لتقف .

ـ هيا قومى لتنامى ونكمل كلامنا فى الصباح .. الصباح رباح كما يقولون .

* * *

استلقت (وفاء) فى سريرها مسهدة .. ألقت نظرة

على (ولاء) وهى نائمة .. كيف يأتيها النوم بهذه السهولة ؟

.. نعم ربما كانت جافة فى معاملتها لأمها فى البداية .. لكنها عندما جاءت لتلد (رامى) ذهبت لزيارتها أكثر من مرة .. كانت حالتها حرجة وخافت عليها بشدة .. كان زوجها قلقًا هو الآخر .. كانت أول مرة تراه فيها .. كان سعيدًا بالولد .. ضحكت (وفاء) فى هذه الأيام ساخرة .. ألم يتركها لأنها لم تأتى بالولد ـ على الأقل كان هذا أحد الأسباب ـ وها هى ذى زوجته أنجبت له ولدًا وتلتها أمها تنجب لزوجها ولدًا .. ما المشكلة لو انتظرا قليلاً ؟! طالما رددت جدتها : « من تأتى بالبنت تأتى بالولد » لكن من يسمع ومنْ يعى ؟!

فى الصباح كانت حالتها أفضل ، بادرتها زوجة أبيها بتحية الصباح وأكملت :

ـ هذا أحسن .. هذه هى (وفاء) حبيبتى .. على فكرة بابا سيعود بعد غد من السفر .

ابتسمت لها وهى تجلس على مائدة الإفطار .

ـ دعينا لا نذكر شيئًا عن زيارتكما تلك .

شعرت (وفاء) بأن ابتسامتها تخفى الكثير .. هل هى خائفة من رد فعله لو علم ؟

ـ حسن كما تحبين .. على أى حال نحن لم نبق كثيرًا ..

وأكملت فى نفسها : ولم ننجز شيئًا ..

سألت (ولاء) (ناهد) وفمها لم يخل من الطعام تمامًا بعد :

ـ هل سيحضر لى الفساتين كما وعد ؟

ربتت (ناهد) برفق على يدها قائلة :

ـ أكيد يا حبيبتى .

ابتسمت لها بحنو . فبرغم أنها ستدخل الكلية السنة القادمة إلا أنها تتصرف كالأطفال تمامًا ..

ـ هيا .. إنه يوم جميل .. ما رأيكم فى أن نذهب جميعًا للنادى ؟

★ ★ ★

جلست (وفاء) وزوجة أبيها على مائدة تراقبان (ولاء) و (محمد) وهما يتسابقان ويمرحان .

ـ دعى الأمر يا (وفاء) .

لوت (وفاء) شفتيها قائلة :

ـ أنا لا أعرف ماذا كنت أتوقع .. لقد انقطعت الصلة بيننا تقريبًا .. فقط الاتصالات التليفونية على فترات متقطعة ربما كان هذا بسبب حياتى كما تقولين ، وربما بسبب انشغالها بحياتها الجديدة .

ـ لا ذنب لك فيما حدث يا (وفاء) ، وهى مثلك تمامًا .

تكلمت (وفاء) كأنها لم تسمع ما قالته زوجة أبيها :

ـ كنت فقط أتمنى لو تخبرنى ماذا أفعل .. لو تعضدنى ، تنصحنى .. تخبرنى أنها موجودة من أجلى .. أتعرفين ماذا قالت ؟ أنت أدرى بما يجب عليك فعله .. إنه قرارك وعليك أن تأخذيه وحدك .. فكرى فى الصواب وتمسكى به .

- إنها نصيحة جيدة يا (وفاء) .

أجابتها (وفاء) فى مرارة :

- نعم أعلم أنها نصيحة جيدة .. لكنها مكررة سبق وقالتها لى ، وأخذت بها وهأنذا ..

انفعلت (ناهد) بشدة بكلام (وفاء) .

- أنا السبب فى كل .. ليتنى ما قابلته ..

ترقرقت الدموع فى عينيها .

- اتمزحين ! لقد انفصلا من قبل أن يقابلك .. لقد كانت حياتهما مأساة .. كما أنك أحسن ما حدث لنا .. ربما كان تزوج من سيدة شريرة ، وليس فتاة رقيقة مثلك .

تكلمت (وفاء) بصدق شديد ، دفع بابتسامة لشفاه زوجة أبيها ..

- شكرًا يا (وفاء) .. أشكرك .. أنا لا أدرى ماذا أقول .

- لاتشكرينى .. أنت تعرفين كم أحبك .. ربما ماما معها حق .. ليس من العدل أن أسألها أن تتخذ لى قرارًا

بعد كل هذا الوقت .. كما أنها لن تستطيع أخذنا .. فى حياتنا وحياتها الجديدة .. ولايُعقل أن تأتى لتجادل أبى من أجلى .. إن علىّ أن أتخذ قرارى وأتمسك به .. معها حق .

- نعم يا حبيبتى أريت ؟ أنها معذورة لا شىء بيدها .. إنها لا تملك شيئًا .

أكملت (ناهد) فى نفسها «مثلى ومثلك» ثم قالت بصوت مسموع :

- إن (علاء) ليس بهذا السوء حقًا .

- أنا أعرف .. فقط أنا لم أفكر فيه كزوج من قبل .

- خذى وقتك .. وفكرى .. ربما كان علىّ أن أحدث (مصطفى) فى هذا الموضوع .

قالت (ناهد) فى جدية وتصميم أفزع (وفاء) فأسرعت بإثنائها .

- لا .. لاداعى لأن تجلبى لنفسك المشاكل .. وتسمعى مالا يسرك .

- لابأس .. لكن سأكون قد قلت ما أريد .

- صفقة خاسرة لا أنصحك بها .

ضحكا معًا فى مرح .. فى لحظة مجىء (ولاء) .. سألت فى دهشة :

ـ ماذا يضحككما ؟ أخبرانى .

ـ لا شىء أجلسى .. ألا تشعرين بالجوع ؟

غيرت زوجة أبيها الموضوع ولـم تمـانع (ولاء) خاصة مع ذكر الطعام .

ـ سأموت جوعًا .. أنا و(مودى) .

رمت بنفسها على الكرسى وتبعها (مودى) .

ـ لا داعى لأن يموت أحد .. سنطلب الطعام حالاً .

قالت زوجة أبيها ذلك وهى تستدعى (الجارسون) :

عندما عادوا للمنزل دخلت (وفاء) حجرتها وأغلقـت على نفسها .

سألت (ولاء) زوجة أبيها عن السبب مندهشة :

ـ كل هـذا لأن ماما لم تعطهـا رأيًا ؟ لا أصـدق ، كيف تفكر (وفاء) ، تذهب لزيارتها بعد كل هذه السنين لتسألها رأيها فى عريس متقدم ! إنها مزحة ثقيلة .

نظرت لها زوجة أبيها فى ألم ، وقد أسقط فى يدها :

ـ وأنا التى اقترحتها ، ماذا بعد يا (ولاء) .. لم أكن أعرف أن كل هذا سيحدث ، ليتنى ما نصحتها بالذهاب .

ـ أولاً (وفـاء) ليست صـغيرة ، وبامكانها تحديـد ما تريد جيدًا .. لم تكن لتذهب إلا لأنها أرادت ذلـك .. أنت تعرفين (وفاء) جيدًا .

ابتسمت لها زوجة أبيها وقالت فى نفسها :

أنت التى لاتعرفين عنها شيئًا ، ثم غيرت الموضوع :

ـ دعينا من كل هذا .. تعالى نعد بعض الحلويات لبابا .. ما رأيك ؟

أخذت بيد (ولاء) فذهبت معها موافقة .

* * *



ـ لم تسأليني ماذا أحضرت لك يا (وفاء) ؟

كان والدها يجلس فى حجرة المعيشة ، ويرى (ولاء) ما أحضر لها من فساتين .

ـ ماذا أحضرت لى ؟

سألته (وفاء) دون حماسة تذكر ..

ـ فستان الزفاف .

انتفضت (وفاء) واقفة وأسرعت إلى حجرتها ، وقد انعقد لسانها .. هكذا بسرعة ؟ لقد قررت الموافقة لكن ليس بهذه الطريقة ، وكأن لا معنى لرأيها أو أن القرار ليس لها ..

لا عيب فى (علاء) . إنها تعترف بذلك لكنها خائفة .. خائفة من الفشل .. لا تريد أن تتزوج لتتعس نفسها وزوجها ، وقبل كل ذلك أطفالاً أبرياء لاذنب لهم ..

إنها لاتنسى أبدًا سؤال (ولاء) لها عن معنى الطلاق ، ولماذا طلق أبوهم أمهم .. كيف أجابتها .. لأن هذا أفضل من استمرارهم فى حياة تعيسة ! هل هذا حقيقى ؟ ألم يكن عليهما أن يحاولا أكثر من أجلها هى وأختها ؟ أن يتنازل كل منهما عن أنانيته .. ألم يستطيعا أن يحباهما أكثر ؟ ابتسمت (وفاء) لنفسها بسخرية (وفاء) و(ولاء) . ألم يجدا لهما اسمين غيرهما .. (وفاء) من لمن ، و(ولاء) من لمن ؟ أين كان هذا الوفاء والولاء ؟ كانا مجرد اسمين .

هَم والدها أن يتبعها ، لكن زوجته أوقفته وأخبرته أنها ستذهب لترى ماذا هناك .. دقت على باب الحجرة .

ـ ادخل .

بادرتها بالسؤال :

ـ مالك يا (وفاء) ؟ أزعجت بابا .

اعتدلت (وفاء) فى جلستها على السرير قائلة :

ـ أبدًا .. فقط لم أتخيل أن الأمر سيتم بهذه السرعة .

ثم تنهدت بقوة ، وحركت فكها فى محاولة لمنع الدموع .

ـ لن يكون غدًا على أى حال فلا تقلقى .. تعالى واجلسى مع بابا ، وانظرى ماذا أحضر لك ، تعالى .

مدت يدها وهى تبتسم لـ (وفاء) لتقوم معها .. فاستجابت وهى مغلوبة على أمرها .. ابتسم لها والدها وقال :

ـ ألا تأتين وتخبريننى إذا كان ذوقى يعجبك ؟

ـ أنت تعرف يا بابا .. دائمًا ذوقك يعجبنى .

أجابته بذلك فى فتور لاحظه والدها .

ـ يبدو أنه لم يعد كذلك .

لم تجبه .. أسرعت (ولاء) ضاحكة تقول :

ـ ما لا يعجبها يعجبنى .

ـ (ولاء) .

نهرها والدها .. لكنها لم تبد اهتمامًا بذلك ، احتقن

وجه (وفاء) من الضيق . أخرج والدها فستان الزفاف .. وفكرت (وفاء) : ما البديل أمامها .. أمها لن تغلق بابها أمامها ، هى تعلم ذلك ، لكن هل تترك والدها ؟ فى كلا الحالين ستفعل .. لكنها عندما ذهبت لبيت أمها شعرت بأنها غريبة .. شعرت بالإحراج وكأنها ضيفة برغم كل الترحيب ، لكنها شعرت بأنها غير مرتاحة وكأنها غير مرغوب فيها ، كأنها متطفلة .. إنها فى عمر يسمح لها بأن تختار أمها .. تستطيع أن تعمل وتعول نفسها ، فلا تكون عبئًا ماليًا على أمها .. لكنها لاتريد ، لاتشعر بأنها تستطيع أن تترك هنا لتعيش هناك بعيدًا عن كل ما اعتادته .. ولا وجدت فى نفسها الجرأة لتخبر أباها أنها تريد أن تأخذ فرصة لتفكر .. لقد أخبرها أن (علاء) طلبها وأنه وافق ، وأن الخطبة ستتحدد بعد عودته من السفر .. وحسب .. أبلغها دون أن يعطيها فرصة لتبدى رأيًا .. هى تعرف (علاء) منذ فترة طويلة تعرفه جيدًا .. كان هو ذراع أبيها اليمنى القوية كما اعتاد أن يقول .. والأستاذة (ثريا) ذراعه اليسرى الأقل قوة ..

ـ (وفاء) أين ذهبت ؟

استغرقت ثوانى لتفيق من أفكارها وتجيب أباها .

ـ أنا ..

قاطعتها زوجة أبيها وهى تحاول إنقاذهـا ، وقـالت له متوسلة : .

ـ إنها تتعـافى من دور بـرد قـوى ، وأنـت تعرف برد الصيف .. اتركها ترتاح .

ـ حسن اذهبى واستريحى ، غدًا نتكلم فى أمر الخطوبة .

قـامت (وفـاء) متثاقلـة .. جـرى (مـودى) فـى ذيلها وجلس بجانبها على السرير .

ـ هل ستصبحين عروسة ؟

أومأت له فقال :

ـ لكنى أريد أن أتزوجك .

ضحكت من كلامه وقالت :

ـ أنت لست صغيرًا لتقول مثـل هذا الكـلام ، إنك

ستدخل الصف الأول العام القـادم ، وتعرف أنى أختـك ، ولا تستطيع أن تتزوجنى ..

عبس وفكر للحظة ثم قال بجدية :

ـ حسن احكى لى حدوتة إذن .

ضحكت من طريقته فى الكلام وأخذته فى حضنها وبدأت تحكى له حتى نام على يدها ، فاستلقت بجانبه تفكر .

دخلـت (ولاء) بضجيجهـا المعتـاد ، فأشـارت لهـا (وفاء) لتخفض صوتها .

ـ (محمد) نائم .

ـ سآخذه لأنيمه فى سريره .

ـ لا .. اتركيه ينام بجانبى اليوم .

قالت فى إصرار :

ـ أنت تعرفين أن بابا يحبه أن ينام فى سريره .

قالت فى ضجر :

ـ حسن خذيه يا (ولاء) .

ذهبت به (ولاء) وعادت .

ـ مادمت لاتريدين الزواج من (علاء) أخبرى بابا .. لماذا أنت خائفة بهذا الشكل ؟

ـ لست خائفة .

تنهدت بنفاد صبر وشرحت لأختها بهدوء :

ـ أنا لا أخاف أبى ، أنا أحترمه ، أنت تعرفين هذا جيدًا وهناك فرق كبير بين الخوف والاحترام .

ـ نعم أعرف ، لا تستطيعين أن تكسرى كلامه ..

قالت (ولاء) فى سخرية ثم أكملت بجدية :

ـ أخبرينى ، ما الذى لا يعجبك فى (علاء) ؟ ألم تكونى دائمًا معجبة بعمل أبى :

ـ نعم بعمل أبى وسفره الدائم وتجواله فى العالم .. إن (علاء) لايسافر .. هو هنا ينظم ويرتب حسب .. ولكن ما علاقة هذا بالزواج ؟

ـ (علاء) الدينامو المحرك لعمل أبى .. أنت تعرفين هذا .. كما أنه هادئ وحنون .

ـ ماذا هادئ وحنون ؟ ومن أين لك أن تعرفى ؟

ـ لا أنا .. أنت .. أحيانًا يأتى كما تعلمين كما أنى أراه كلما ذهبت للمكتب :

ـ نعم لقد رأيته أكثر منك رأيته عاديًا .. مرتبكًا .. وذا نظرات لاتريح .. كما أنه يكبرنى كثيرًا .

ـ عدنا لنقطة البداية . مادام لايعجبك لم لاتصارحين أبى ؟

أمسكتها (ولاء) حيث أرادت .. لكنها عادت تتردد .

ـ إن بابا فهمه أفضل للناس .. ربما يراه مناسبًا لى .

ـ ألا تستقرين على رأى ؟ ومع ذلك ألا يمكن أن أبى يرى أن من مصلحته تزويجك من (علاء) ؟

ـ لا تتكلمى هكذا عن بابا .

ـ كما تحبين ، عمومًا لست أنا المجبرة على الزواج .. إنه أنت .. سأنام .. تصبحين على خير .

ـ وأنت من أهل الخير .. نامى كما تريدين .

عادت (وفاء) تفكر .. أين الخير وأين الشر فى كل هذا ؟

ماذا تريد هى ؟ زوجًا على سفر دائم .. لف ودار وجرب كل شىء ، وربما فى النهاية لا يعجبه ما حصل عليه فيقرر تغييره لشىء يليق به أكثر ..

ما الفرق فى العمر بينها وبين (علاء) ـ على أى حال ـ لن يكون كالفرق بين (ناهد) وأبيها ، إنه أكثر من عشرين سنة .. لماذا قبلت به ، طالما تساءلت (وفاء) .. بالتأكيد بهرها ، لكن هل هى سعيدة ؟

إن الفرق بينها وبين (علاء) ١٣ سنة .. لا شىء لديها ضد الرقم ١٣ ، لكنها سنون كثيرة بالفعل .. لماذا لم يتزوج كل هذا الوقت ! فكرت فى ذلك بسخرية ، ربما أخذ العبرة من زيجة أبى الفاشلة ..

* * *

نامت نومًا متقطعًا مضطربًا .. انتفضت صارخة .. جلست واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم .. جاءها صوت (ولاء) يملؤه النوم :

ـ ألن تكفى عن هذه السخافات .

ـ إنه سيئ هذه المرة يا (ولاء) .

ـ ليس أكثر من أى مرة سابقة .

ـ لا .. حقًا إنها تزداد سوءًا ..

اعتدلت (ولاء) فى قلق وقالت :

ـ هل أحضر لك ماء ؟

ـ لا شكرًا .. لا أريد شيئًا .

ـ اقرئى قليلاً من القرآن وعودى للنوم .

تكلمت (ولاء) فى حنان ثم صاحت :

ـ وأغلقى هذا النور الذى أضأته .. لا أستطيع النوم فى النور وأنت تعلمين هذا جيدًا .

ـ هذه مشكلتك .. أنا لن أعود للنوم وأريد بعض الضوء .

قالت ذلك فى عناد ، فسألتها (ولاء) فى عناد أكبر :

ـ لماذا ؟

ـ ربما أقرأ شيئًا .

لم تستطع الاعتراف بأنها خائفة حتى لنفسها .. تلك الكوابيس التى اصطحبتها معها من طنطا شىء لله يابدوى .. ربما تحاول مدّ الخطوبة حتى تنهى دراستها ، لا داعى للزواج فى آخر سنة .. هذا ما سأخبر به بابا فى الصباح .. هدأها هذا الخاطر فنامت .







استيقظت (وفاء) وكلها تصميم على أن تحدث والدها .. خرجت لتجد زوجة أبيها جالسة على مائدة الإفطار .

ـ صباح الخير .. أين بابا ؟

ـ صباح النور .. بابا خرج .

ـ مبكرًا هكذا !

سألتها بخيبة أمل وهى تجلس .

ـ أنت تعرفين ، العمل أولاً وقبل كل شىء .

ـ نعم أعلم .

هزت (وفاء) رأسها موافقة ثم عادت تسألها .

ـ هل سيعود على الغداء ؟

ـ لا .. أخبرنى أنه سيتأخر .. لماذا كل هذه الأسئلة ؟

ـ كنت أريد أن أتحدث معه .

حدقت فيها باهتمام .

ـ هل قررت الرفض ؟

ـ لا .. أنا فقط أردت إخباره أن لا داعى للزواج الآن .. ننتظر حتى تمر هذه السنة .

ـ إنه مصرّ على خطوبة قصيرة جدًا .

ـ ألا يريد أن أكمل دراستى !

ـ يقول إنه اتفق مع (علاء) على أن يتركك تكملين .

ـ وإذا وجدت نفسى حاملاً ؟ ماذا أفعل ؟ إن لى زميلة تخلفت عن الامتحان العام الماضى لهذا السبب .

ـ (وفاء) لاتقولى لى أنا هذا .. أنا لا أملك شيئًا .

سألتها فى تهكم :

ـ ومتى حدد ميعاد الخطوبة ؟

تشاغلت بطبق الطعام أمامها ولم ترد ..

سألتها (وفاء) فى دهشة :

ـ أبله ! هل حدد الميعاد بالفعل ؟

ـ إنه .. إنه الأسبوع القادم .

قالت (ناهد) ذلك فى صوت خافت مرتبك .. قامت (وفاء) وعادت إلى حجرتها .. كانت (ولاء) جالسة تقرأ .

ـ لقد حدد ميعاد الخطوبة بالفعل .

ـ ولِمَ لا ؟ مادام لم يسمع منك اعتراضًا على أى قرار له من قبل .

ـ لقد أخبرنى أننا سنتكلم فى الموضوع .. لكنه لم ينتظر .

ـ ولماذا ينتظر .. وهو يعرف أنك لن تردى له كلمة ؟

ـ كفى يا (ولاء) .

ـ دائمًا كلمة الحق تقف فى الحلق .. سأذهب لأقرأ فى مكان آخر .

خرجت (ولاء) وجلست لتأكل .. سألت زوجة أبيها :

ـ (نانا) .. هل استيقظ (مودى) ؟

ـ نعم وأخذته لنادى الكمبيوتر .

ـ ماذا ؟ لماذا لم تتركيه ، ولماذا لم توقظينى لآخذه أنا ؟

ـ لم أتركه لأنك تعرفين أوامر بابا .. ولم أوقظك لانك كنت غارقة فى النوم ولاشىء فى الدنيا كان يستطيع إيقاظك .

ـ أنا !! حاضر يا (نانا) .. لن أوصله أبدًا .

ـ كفى مزاحًا .. كيف حال (وفاء) .

ـ غارقة فى الوهم فى اللاشىء .. تحارب طواحين الهواء كدون كيشوت .. لاتواجه الواقع ، تريد أن تعيش دور الشهيدة فى خيالها .. لا أعرف لماذا لاتقول رأيها بصراحة بدلاً من أن تأكل نفسها .

ـ (ولاء) !!

اعترضت زوجة أبيها على كلامها قائلة :

ـ سأغضب منك حقًا إذا تكلمت عن أختك بهذه الطريقة مرة ثانية .

ـ دائمًا كلامى لايعجب أحدًا .. إذن لاتسألونى عن رأيى .

ـ خففى عنها بدلاً من أن ترشقيها بالكلام اللاذع .

ـ أخفف عنها ماذا ؟ إنها تفعل ذلك بمحض إرادتها لا أحد يستطيع إجبارها .

ـ وماذا تفعل ؟

ـ بسيطة ، تقول لا .. أتعرفين يا (نانا) ما مشكلتها ؟

ـ ما هى يا فيلسوفة زمانك ؟

ـ حسن . لن أعلق على تهكمك علىَّ .. مشكلتها أنها غير متأكدة من أنها لاتريد الزواج من (علاء) لأنها لاتفكر فى غيره .. ومشكلتها الأخرى أنها تنساق لإرادة بابا دون تفكير .. كل ما يقوله مقدس .

- عندك حق يا (ولاء) .

هزت زوجة أبيها رأسها وقالت :

- علينا ألا نسألك رأيك أبدًا .. لا أريد أن أسمع تحليلك لأى شىء .

- كما قلت لـ (وفاء) كلمة الحق تقف فى الحلق .. سأذهب لأقرأ فى حجرة (مودى) . شكرًا .. على فكرة سأذهب أنا لإحضار (مودى) ابتسمت لها زوجة أبيها وتوجهت لحجرة (وفاء) .. كانت مستلقية على سريرها .. جلست بجانبها ومدت يدها وغطت براحتها كف (وفاء) .

- إذا كنت لا تريدينه ارفضى وتمسكى بالرفض ، وأنا سأساندك قدر استطاعتى .

- أنا خائفة من الفشل .. ماذا لو لم أحبه ؟ أنا لا أريد أن ينتهى بى الحال لإنجاب أطفال يعيشون فى شقاء طوال حياتهم .

- أعتقد أن هذا شعور طبيعى .. أنا لا أعرف بماذا

أنصحك .. لا أدرى ماذا أقول لك .. إنه قرارك أنت .. لكن اعلمى أنه لا يجب عليك أن تستسلمى لما يريده والدك .. إذا أردت شيئًا آخر يجب أن تعلنى ذلك بوضوح .

تنهدت (وفاء) فى قوة وقالت :

- لو آخذ فرصتى فى التفكير ؟

- آسفة لإحباطك يا (وفاء) ، لكن والدك أخبرنى أن (علاء) سيأتى هذا المساء لزيارتنا .

ثم قالت بصوت مرتبك ، وهى تحاول رسم ابتسامة على شفتيها :

- على الأقل تتحدثين معه لتكونى فكرة أفضل .

تنهدت (وفاء) بعمق ولم تعلق .. جلست فى مكانها دون أن تستطيع التحرك لبعض الوقت .. ثم لملمت شتات نفسها وقامت لتساعد زوجة أبيها فى ترتيب المنزل وإعداد الطعام ..

قبل ميعاد مجىء أبيها و(علاء) دخلت لحجرتها .. وجدت (ولاء) جالسة على مكتبها .

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ أرسم .

ـ ألن تغيرى ملابسك لمقابلة الضيف ؟

ـ بالتأكيد سأفعل ، لكن المهم أنت .. ألن تتزينى .

ـ لا .

خرجت منها هادئة واهنة .. أكملت :

ـ إنه يعرفنى جيدًا كما أنا .. ويبدو أنه يريدنى بالرغم من هذا .. دخلت (ناهد) إليهم وقد بدلت ملابسها وصففت شعرها .

ـ هيا يا بنات .. (ولاء) .. أما زلت جالسة أمام المكتب ؟

هيا بدلى ملابسك .

تمهلت قليلاً قبل أن تنظر لـ (وفاء) .

ـ ألن تبدلى ملابسك ؟

أومأت لها (وفاء) بالإيجاب .. عليها أن تبدل ملابسها .. يجب أن تخرج لتجلس مع أبيها ومع (علاء).. نادتها (ناهد) :

ـ هيا بنا يا بنات .

حسن ، على الأقل أفضل من أن أدخل وحدى .. فكرت (وفاء) فى نفسها .. انتصب (علاء) واقفًا بمجرد أن دخلن عليه وحياهن دون أن يعود للجلوس حتى جلسن جميعًا .. لم يكن هناك حديث دائر أكثر من تحيات .. قامت (ولاء) لتحضر مشروبًا يسبق العشاء وكلمات (وفاء) ترن فى أذنها :

لو جعلتنى أقدم شيئًا هذا المساء لن أحدثك باقى عمرى :

قالتها (وفاء) بجدية شديدة حتى إن (ولاء) لم تجرؤ على ممازحتها بشأن هذا الأمر.. مر العشاء بسلام.. جلسوا جميعًا فى الشرفة ، ثم انسحبوا وتركوها هى و(علاء) وحدهما .. لم تتكلم ، ولم تكن تنوى أن تفعل . هو أيضًا لم يتحدث .. لم تنظر إليه .. سرحت فى لقائها الأول فى القاهرة بـ (علاء) ..

أستاذ (علاء) كما اعتادت أن تناديه أو تذكره .. كان فى هذا اليوم عندما مر عليها هى و(ولاء) ليأخذهما من محطة القطار عرفهما على الفور .. لكنها لم تعرفه ، فقد مرت فترة منذ آخر مرة رأته .. أرسله والدها ليستقبلها هى و(ولاء) .. الآن تعرف أنها لم تكن وقتها أكثر من طفلة .. لكنها فى هذا اليوم لم تكن تفكر فى نفسها بهذه الطريقة .

كانت (ولاء) فى يدها كطفلة صغيرة كانت فى بداية صفها الأول الإعدادى وبرغم أن الفرق بينهما ثلاث سنوات إلا أن إحساسها أنها فى الصف الأول الثانوى جعلها تعتقد نفسها كبيرة .. آنسة ، وليست مجرد طفلة ، كما عاملها (علاء) هذا اليوم حتى إنها لم تكن لتستغرب لو اشترى لها حلوى كما فعل مع (ولاء) .. ابتسمت لنفسها ، ويبدو أن الابتسامة ارتسمت على وجهها بالفعل ، فقد لمحت (علاء) يبتسم لها .

ـ ما رأيك فى أن نخرج غدًا .

ـ لماذا ؟

ـ نستطيع أن نختار الشبكة .

ـ اسأل بابا .

ـ حسن سأفعل .

قال فى بساطة وثقة أدهشتا (وفاء) ، وفكرت فى نفسها : لماذا يبدو واثقًا من نفسه بهذه الطريقة !

* * *



٤

نزلت معه إلى الشارع وهى تتساءل : كيف وافق والدها بهذه السهولة ، إنه حتى لم يرض أن تذهب (ولاء) أو حتى زوجته معها .. أيثق به لهذه الدرجة .. عمومًا لافرق ، فالخطوبة الأسبوع القادم ، وكل شىء يشير إلى أن الزواج سيليها بأسرع ما يمكن .. مر بها على عشرات المحلات .. بدا الكثير من الحلى الذهبية جميلة فى عينيها .. لكنها لم تدر أيها تختار .. وفى أى حدود يستطيع أن يشترى .. وهل ما ينتقيه هو لها سيحمل قيمة هدية إنسان سيشاركها الحياة ؟!

أمسك بسوار دقيق الصنع شديد الجمال وسألها عن رأيها فيه .. بدا رقيقًا جميلاً فى عينيها فأخبرته بذلك ..

ـ ما رأيك فى أن نشتريه هو وقلادته ؟

فكرت فى نفسها : مادام يسألها عن رأيها فهو قادر على دفع ثمنه ، فوافقت .. بعد ذلك اشترى الدبلتين ..

أحست بأن شعورًا غامضًا يملؤها .. كم مرة قابلت (علاء) ورأته .. إنها لاتملك شيئًا ضده .. فقط هى لم تفكر فيه كزوج ، أو حتى كشخص من الممكن أن يطلبها للزواج يومًا ما ، ظنت أن فرق السن بينهما يمنع أى تفكير .. لاتستطيع أن تنكر أنها خائفة .. خائفة ألا تكون السعادة هى ما تخبئه لها الدنيا .. ظلت هذه الأفكار تتنازعها وهى عائدة مع (علاء) للمنزل .. «غدًا ننزل لنشترى فستان الخطبة» أخبرها دون أن ينتظر رأيها .. على أى حال إن الأيام تسرع والقاعة محجوزة والدعوات أرسلت وعليها أن تجهز نفسها ..

عزّت (وفاء) نفسها بذلك .. عندما غادر سألت (ناهد) :

لماذا لاتأتى معها لاختيار الفستان أو تأتى (ولاء) ؟

صمتت لم تدر بم تجيبها ، هى نفسها لم تكن تفهم لماذا يصر (مصطفى) ـ زوجها ـ على رأيه ؟ لماذا يتركها وحدها تذهب معه ؟

لكنها لم تكن تملك التعليق على تصرفاته . لقد تعودت أن تقبل مايريد وأن تنفذه دون مناقشة تقريبًا .. لكن عزّت عليها الحيرة التى ترى (وفاء) فيها ، فقررت أن تذهب لتسأله ..

وذهبت فعلاً ، لكنها عادت دون أن تواتيها الجرأة لتسأله لماذا يرفض ؟

قالت (ناهد) فى ضعف :

ـ ربما يريد منك أن تعتادى عليه يا حبيبتى .

ـ لكنى أريد رأيكم فيما أختار :

قالتها (وفاء) فى حيرة شديدة ، وقد أحست أنها بلاسند .. إن أباها يلقيها وحدها مع (علاء) وهى لاتعرفه معرفة كافية ، ولا تعرف كيف تتصرف معه .

عادت (ناهد) تنظر إلى الشبكة فى علبتها القطيفة الجميلة ، وفى عينيها إعجاب فهونت على (وفاء) .

ـ إن الشبكة رائعة .. لايمكن أن تكون أفضل من هذا .. ألم تعجبك ؟

ـ بلى . ولكن ..

قالت فى تردد فقاطعتها (ناهد) :

ـ لكن ماذا ؟! هيا ، اذهبى لتنامى ولاتشغلى بالك .. وأيقظى (ولاء) لترى الشبكة .

ابتسمت لها وأعطتها العلبة المرسومة على شكل قلب .

دخلت الحجرة وألقت العلبة فى لامبالاة وهى ساهمة على الكوميدونو بجانب السرير ، وألقت بنفسها على السرير غير قادرة على الحركة . ثم لملمت نفسها وقامت لتبدل ملابسها . لم توقظ (ولاء) . فكرت فى ضيق فلينتظر الأمر للصباح .. إنه لايستحق إيقاظها الآن .. أضاءت الأباجورة الصغيرة بجانبها .. وأخذت رواية لتقرأها .. استطاعت بعد جهد أن تستغرق وتنسى أى شئ آخر .. بدأ النعاس يثقل جفونها فمدت يدها بصعوبة لتغلق مفتاح الإضاءة وغلبها النوم فاستغرقت فيه .. عندما

فتحت عينيها فى الصباح وجدت (ولاء) جالسة أمام المرآة وهى ترتدى شبكتها . ابتسمت وقالت :

- لماذا العجلة ؟ مازال أمامك مشوار طويل .

أجابتها (ولاء) مستنكرة :

- مشوار طويل ؟ أى مشوار طويل هذا الذى تتكلمين عنه .. سأتزوج سريعًا .. أسرع مما تتوقعين .

- ودراستك ؟

- لا مشكلة أستطيع أن أدرس وأنا متزوجة .

قالت (ولاء) ذلك فى لامبالاة ثم أكملت :

- كما أنى لن أدخل كلية ، لن أبقى أربع أو خمس سنوات أخرى أدرس . سأكتفى بمعهد سنتين .

- وكلية الفنون ؟ والرسم !!

ترددت (ولاء) قليلاً ، ثم قالت فى عصبية :

- أنا أستطيع أن أرسم كما أريد وفى أى وقت وليس علىّ دخول الكلية .

نظرت لها (وفاء) بحنان ، ثم أشارت لها لتقترب .

- تعالى هنا يا (ولاء) .

- ماذا ؟

- فقط تعالى .

ما إن جلست أختها الصغيرة بجانبها حتى احتضنتها وأخذت تهدهدها وتربت على شعرها .. كانت أكثر واحدة تعرفها ، كان هناك شىء غير طبيعى فيها .. شىء يؤرقها وينعكس على أسلوب حديثها وتصرفاتها ، بل وتفكيرها .. كانت تعلم أنها لاتعنى أى شىء مما قالت .. من لـ (ولاء) غيرها ؟ لمن تشتكى همومها أوتفتح قلبها !! لا أحد سواها .. كانت تعلم أن هذه مهمتها ومسئوليتها ..

سألت (ولاء) بعد لحظة وهى ماتزال تهدهدها :

- لماذا أنت حزينة يا (ولاء) .. ما بك !

- لماذا تدعيه يفعل بك هذا :

اندفعت (ولاء) بالسؤال ، إجابة عن تساؤل أختها ، بنبرة جريحة .

ـ منْ تقصدين ؟

ـ بابا يا (وفاء) .. بابا .. إنه يريد تفريقنا مرة أخرى .. وبسرعة قبل الأوان .. قبل أن نستعد جيدًا .. نظن أننا قد استقررنا على أرض صلبة ، وفجأة نجد البساط ينسحب من تحت أرجلنا ونجد أنفسنا نقع على أرضية أخرى لم نألفها .

استغربت (وفاء) كلام أختها ، لم تعتقد أنها تشعر هكذا .. اندهشت وتألمت لأنها لم تنتبه لما يعتمل داخل أختها .

ـ كل هذا بداخلك يا (ولاء) وتكتمينه .. كل هذا بداخلك !! لماذا لم تأتى وتخبرينى .. لماذا تُخفين عنى ما تفكرين فيه !

لم يعجب (ولاء) تحويل المحادثة . إن الأمر لم يكن عنها ولكن عن (وفاء) ـ هأنذا أسألك ..ولم تجيبينى ، لماذا تدعيه يفعل بنا هذا مرة ثانية ؟ لماذا يا (وفاء) ؟

ـ المرة السابقة كانت مختلفة ، نحن ..

قاطعتها أختها وهى تتكلم كأنها تردد درسًا محفوظًا .

ـ أعلم المرة السابقة لم نكن نملك بديلاً ، أعرف هذا الدرس جيدًا .

استطردت فى مرارة .

ـ لكن فى المرة السابقة فقدت حياة ألفتها وفقدت أمى .. ولم أكسب أى شىء ، أعلم أنى احتفظت بك لكن هذا كل ما حدث .

وهذه المرة أفقدك ، المرة القادمة لن يبقى لى سوى نفسى لأفقدها .

ـ (ولاء) أرجوك كفى .. أنت تعذبيننى بهذا الكلام .. أنا لم أكن أعرف ..

قاطعتها .

ـ لم تكونى تعرفين ماذا ؟! أنى أفهم .. أنى أشعر .. أنى أفكر .. (وفاء) أنا أعلم أنك تحبينه ، أنا أيضًا أحبه ربما أكثر منك ، لكن هذا لا يعنى أن تدعيه يتحكم فى حياتك ويرسمها كما يريد ..

شعرت (وفاء) بها ترتعد بين يديها ، وجسدها يتشبع ببكاء مكتوم .. ضمتها (وفاء) إليها أكثر وهى تهدهدها .

- ابك يا حبيبتى .. ابك ، لا تفعلى هذا بنفسك .. اهدئى .. اهدئى يا صغيرتى .. أنا لا أجعله يتحكم فى حياتى كما تظنين ، وسأحاول تبديل ما لا يعجبنى ، لكنى أقيم (علاء) من منظار آخر .. ليس لأن أبى يوافق عليه أرفضه ، إن (علاء) بالفعل - مما أعرفه عنه - إنسان جيد .. لا أرى ما يعيبه ، أنا فقط أتمنى لو آخذ فرصة أفضل للتعرف عليه من خلال مكانته الجديدة فى حياتى ..

هل كانت تعنى ما قالته حقًا .. هل هذا ما سيحدث ؟! لم تكن تعلم .. ربما كانت هذه الحقيقة ، ومن ناحية أخرى ربما لا .. لم تتوقف عند هذا الخاطر كثيرًا ، فعلى أى حال توقفت (ولاء) عن البكاء واستكانت بين يديها .

- غدًا تتزوجين أنت أيضًا .

- أنا لا أريد أن أتزوج .. ولن أتزوج أبدًا .. كفانا زيجات فاشلة فى هذه العائلة .

ضحكت (وفاء) .

أبعدتها ونظرت إليها قائلة :

- يا سبحان الله .. منذ دقيقتين كنت تتحدثين وكأنك ستتزوجين قبلى ، على أى حال غدًا عندما ترينني سعيدة تقلديننى .

نظرت لها (ولاء) فى عمق متسائلة :

- تبدين واثقة من نفسك .

ولِمَ لا ؟ أنا موقنة بأن الإنسان إذا صمم على تحقيق سعادته فلا شىء سيقف فى طريقه .

سألتها (ولاء) فى شك :

- تقصدين أن باستطاعتك صنع سعادتك بيديك ؟!

- ولِمَ لا ؟

ضحكت (ولاء) ساخرة :

ـ لو أن هذا ممكن لما وجدت تعاسة على ظهر الأرض .

ردت أختها فى تأكيد :

ـ لو أن كل إنسان يسعى لتحقيق السعادة لاختفت التعاسة فعلاً .

ـ تبدين واثقة من نفسك فعلاً ، وتؤمنين بما تقولينه .

كانت (وفاء) مؤمنة فعلاً بهذا ، بأن الإنسان لو بذل المجهود الكافى وحاول بقوة وسعى إلى السعادة لحصل عليها ، لهذا عادت تؤكد لأختها فى ثقة :

ـ غدًا ترين .. التجربة هى المحك الحقيقى .

سمعتا دقات على الباب فصاحت (وفاء) :

ـ ادخل .

أطل عليهما وجه زوجة أبيهن المبتسم .

ـ صباح الخير يا بنات .

رددن التحية ، ونظرت (ناهد) لـ (ولاء) .

ـ إن (مودى) جاهز .. ألم تعدى بتوصيله ؟

ـ نعم أنا جاهزة .. ثانية واحدة أخلع شبكة (وفاء) وإلا ظننى العريس هى .

سألت (ناهد) مستغربة :

ـ لماذا ؟ هل نظره ضعيف لهذه الدرجة .

فهمت (وفاء) تعريض أختها بـ (علاء) وبمدى معرفته بها فأسرعت تقول :

ـ إنها تمزح يا أبلة .

وجهت نظرة عتاب لـ (ولاء) قبل أن تكرر .

ـ تمزح .

لكن (ولاءِ) نظرت لها نظرة تحدٍ قبل أن تغادرها .

عادت (ناهد) بعد أن أوصلت (مودى) و(ولاء) للباب ..

ـ أخبرينى متى سيأتى (علاء) ؟

لم تكن (وفـاء) تعرف على وجه التحديد ، لكنها خجلت من أن تخبر زوجة أبيها بذلك .

ـ أكيد بعد انتهاء العمل .. أعتقد فى السابعة .

ـ حســن أعتقد أن علينـا دعوته على العشــاء ، ما رأيك ؟

نظرت لها (وفاء) حائرة .

ـ لا أعرف .

ـ أنا أيضًا لا أعرف . سـأتصــل بـ (مصطفى) وأسأله .

لم تجد (وفاء) سؤال أبيها أو الاتصال به فأسرعت تقول :

ـ لاداعى .. فلنستعدّ وكأننـا سندعوه ، وعندما يصل (بابا) نسأله ..

أصرّ (علاء) على ألا يتناول معهم الطعام ، وأخذ

(وفاء) ونـزلا بسرعة .. بعد أن دخـلا عدة محلات أخبرها أن لديها وقتًا لتقرر أى الفساتين التى رأياهـا تريد .. لكنها حزمت رأيها بسرعة .. لقد عرفت أنها تريد فستانًا بالذات عندما رأتـه .. كـان بسيطًا ومصنوعًا من الحرير ، وبه تطريز كثيف على الصدر ، وينزل (بكلوش) واسع تتخلله خيوط تطريز رقيقة .. كـان بسيطًا وجميلاً ولونه كريمى رقيق .. لم تحب الفسـاتين التقليدية ..

وافقها (علاء) على رأيهـا وأعجبـه اختيارهـا .. دعاها لأحد المطاعم فترددت قائلة :

ـ أنا لم أخبرهم .

قال (علاء) فى بساطة مذنبًا لاعتراضها الواهن :

ـ لابأس فقد أخبرت الأستاذ (مصطفى) أننا قد نتأخر .. قادها إلى داخل المطعم قبل أن ترد .. ولم تعرف ماذا تقول .. أو إذا كانت تريد الاعتراض من الأساس ، فاستسلمت لرغبته .. لم يتبادلا الكثير من

الكلام .. برغم أنها أرادت أن تطلب منه تأجيل الخطبة أو الزواج ، لكنها لم تعرف كيف تقول له أشياء شخصية كهذه .. انحصر كلامها فى موضوعات عامة .. وعندما عادت للمنزل كانت حيرتها قد زادت .. بماذا تشعر نحوه ؟

هل حقًا ستقبل أن تتزوجه دون أى اعتراض ؟ ظلت هذه الأسئلة معلقة بلا إجابة فى ذهنها .

* * *





قبل يومين من الخطوبة فكرت (وفاء) بدهشة : كيف أن الخطوبة بعد غد . صرخت فجأة :

ـ ماما !

سألتها (ولاء) مندهشة .

ـ ما بها ؟

ـ ماما لم أخبرها بعد بالخطوبة .

ـ أسرعى بالاتصال بها .

قامت (وفاء) ثم عادت تجلس متخاذلة .

ـ لكن بابا ..

ترددت (وفاء) وصمتت .

نظرت لها (ولاء) فى دهشة أول الأمر ، ثم أدركت ما تعنيه (وفاء) فقالت فى تهكم :

ـ ماذا .. سيرفض أن تدعيها ؟

ـ أنا لا أدرى شيئًا يا (ولاء) ، أدعوها أم لا ؟

ـ أعتقد أن من حقها أن تحضر .. هو لا يملك أن يمنعها من ذلك ، المهم هو أنت ، تريدينها أم لا ؟

أحست (ولاء) بضيق من أن أختها تناقشها وتناقش نفسها فى بديهية يجب ألا تثير أدنى شك أو تفكير .. أيعقل ألا تحضر والدتها خطوبة (وفاء) ؟!

ـ سأسأل أبله (ناهد) .

ـ أمر غريب يا (وفاء) .. إنها لاتستطيع أخذ قراراتها الشخصية أمام بابا ، فما بالك بقراراتك أنت .

قالت (وفاء) مدافعة عن نفسها :

ـ أنا سآخذ رأيها فقط ، ولن أجعلها تأخذ قراراتى .

احتدت نبرتها وهى تكمل :

ـ أعتقد أنك تعرفيننى جيدًا .

ـ مالك عصبية هكذا .

ردت عليها (وفاء) بصوت غاضب :

ـ من فضلك هذا الأمر يخصنى وحدى .. بإذنك .

قامت ودخلت إلى حجرتها وأغلقت الباب ... لماذا غضبت من (ولاء) ؟ تساءلت فى نفسها وفكرت أن مع أختها كل الحق ، فهذا الأمر يعود لها فليس من حقه أن يمنعها من دعوة أمها .. لكن أليس من الذوق أن أسأله ؟ عاد لها ترددها لكنها حسمت أمرها . لا وقت لكل هذا .. شعرت بقلبها يرتعش وهى ترفع السماعة لتتصل :

ـ لأدعُها وليحدث ما يحدث .

وجدت الخط مشغولاً فعادت تحاول ، وكل مرة تزيد عصبيتها ، أخيرًا رن الجرس على الجانب الآخر .

ـ آلو ..

ـ آلو أهلاً يا أستاذ عيد .. أنا (وفاء) .

ـ أهلاً يا (وفاء) .. كيف حالك أنت و(ولاء) ؟

هدأها قليلاً صوت زوج أمها .

- بخير ، الحمد الله ، وكيف حال (رامى) ؟

- بخير ، وشقاوته لا تنتهى .

.. انقطع استرسال الحديث ، ولم تعرف ماذا تقول ، لكنه أنقذها :

- هاهى ماما ..

- آلو .

- ماما .. أنا (وفاء) .

- أعرف ، خير يا حبيبتى .

- إن .. إن خطوبتى غدًا .

حبست أنفاسها فى انتظار الرد .. بدا لها أن دهرًا مرّ قبل أن ترد عليها والدتها .

- ألف مبارك .

لم تعرف (وفاء) كيف تدعوها .. وهل تُدعَى الأم ؟ أم من المفترض أن تخبرها وحسب ؟ أنقذتها أمها من حيرتها .

- أين سيقام الحفل ؟

- .. لا أدرى ..

كيف لم تفكر فى السؤال عن مكان الحفل ؟ كان مكتوبًا فى بطاقة الدعوة ، لكنها لا تذكر الآن أين هو .. لم تهتم كثيرًا لأى ترتيبات تمت حيث إن رأيها لم يؤخذ فى أى شىء .

- سأسأل بابا وأعيد الاتصال بك لأخبرك .

خطر فى بالها الوداع الفاتر الذى ودعت به أمها .

- ماما ..

- نعم يا (وفاء) .

أرادت (وفاء) أن تعتذر لأمها وأن تخبرها أنها لم تكن تقصد أن تبدو غاضبة منها ، لكنها لم تعرف ماذا تقول .

- أنا .. أنت تعلمين .

أخذت أمها نفسًا طويلاً ثم قالت فى حنان :

- نعم يا (وفاء) أعلم .

شعرت أن همًّا كبيرًا انزاح من على صدرها ، وذهبت لتسأل (ناهد) أين ستقام الخطوبة ، فأخبرتها وكان عليها أن تحصل على دعوة .. أسقط فى يدها .

- هل مازالت هناك دعوات ؟

فى الحقيقة لا أعلم .. هل أتصل (بمصطفى) وأسأله !

- نعم أرجوك يا أبله ، أريد دعوة حتمًا .

وقفت بجانب زوجة أبيها وهى تطلب الرقم .. أخبرتها السكرتيرة أنه غير موجود .

- لحظة من فضلك .

وضعت (ناهد) يدها على (المُستقبل) وسألتها :

- هل تكلمين (عَلاء) لتطلبى منه الدعوة ؟

أشارت لها بالرفض فأنهت الاتصال .

- لماذا لم تكلمى (علاء) ؟

- لا أعرف ماذا أقول له .. كما أنى أعتقد أن بابا يجهز كل شىء دون أن يخبره مثلما يفعل معى .

- أنا لا أعلم لماذا يتصرف (مصطفى) هكذا .. على أى حال سأطلب منه الدعوة عندما يأتى فى المساء .

شعرت (وفاء) بالضيق كيف يكون حفل خطبتها وكل شىء يتم دون استشارتها .. ترى هل كانت طبيعتها الهادئة أم استسلامها وعدم اكتراثها هو السبب فى أنها لم تواجه أباها ، أم هى موافقة ضمنية من جانبها لم تستطع أن تفكر فى أى شىء ؟ ونفت هذه الخواطر من عقلها بسرعة .

عندما عاد والدها فى المساء طلبت منه (ناهد) دعوة إضافية فأعطاها إياها دون أن يسألها لمن ، اتصلت (وفاء) مرة أخرى بوالدتها وأخبرتها بالعنوان وبأنها ستترك لها الدعوة على باب الفندق .

* * *

- هل أنت جاهزة .

أطلت زوجة أبيها من الباب .

ـ لا ، لم أتته بعد .

أجابتها (ولاء) فضحكت (ناهد) من ردها وقالت متعجبة :

ـ وهل أسأل عنك ؟ أنا أسأل عن العروسة .

ـ يا سلام ! العروسة خلاص عرفت مستقبلها ، لكن أنا الأهم .

عادت (ناهد) تضحك .

ـ لن ننتهى منك أبدًا ، لا يستطيع أحد أن يغلبك فى الكلام .

على أى حال (علاء) على وصول ، أنا سأسبقكما لاستقبال المدعوين مع بابا .

سلمتها (وفاء) الدعوة وطلبت منها أن تتركها على الباب .

ـ حسن ، سأفعل .

ظلت (وفاء) صامتة حتى وصل (علاء) فى سيارة مزينة بالورود ومعه أخوه ، كادت (وفاء) أن تتجه للخلف لتجلس ، لكن (عادل) أمسك ذراعها ووجهها بلطف إلى المقعد الأمامى ، بينما جلست (ولاء) بالخلف مع (أحمد) شقيق (علاء) .. تنبهت (وفاء) إلى أنها لم تلتق بعائلة (علاء) بصورة لائقة للآن ، وهى تسمع تحية أخيه وتراه لأول مرة .. والدها كعادته يدير الأمور من وجهة نظره وحده ، وهى كعادتها تتصرف داخل هذه الحدود ..

فى حفل الخطبة شعرت (وفاء) بالغرابة . كان هناك الكثير من المدعوين أكثر مما تخيلت ، كان والدها متصدرًا للحفل ومهيمنًا عليه ، وبجانبه (ناهد) كظله ، بحثت بعينيها عن والدتها ، أيعقل أنها لم تأت بعد ؟ وجدتها تسلم عليهما وتهنئهما هى وزوجها وابنهما (رامى) .. شعرت بالفرحة وبالارتباك لم تعرف كيف تقدم والدتها لـ (علاء) أو حتى تقدمه هو لها ، لكنها تذكرت أن (علاء) يعرف والدتها بالفعل ، وهى كذلك .. مرت اللحظة بسلام .

أوقف المطرب الغناء ودعاهما للرقص .

- ولكن ..

لم يُسمح لها بإكمال اعتراضها بأنها لم ترقص فى حياتها . وجدت نفسها منقادة على الرغم منها .. أيعقل أن (علاء) رقص من قبل ؟!

شعرت بكفه تستند إلى خاصرتها بقوة أربكتها أكثر . أخذ كفها فى راحته واقترب منها ، ظلت حائرة للحظة ، ثم وضعت كفها الأخرى على كتفه فى تردد .. كانت متأكدة أن كل من بالحفل ينظر إليها ، حمدت الله على الإضاءة الخافتة .. لم تسمع الموسيقى الحالمة ، ومع ذلك ارتعش قلبها .. شعرت بأنها ستتعثر وتقع فى أى لحظة ..

وخفضت رأسها . شعرت أن الوقت لايمر ، أو أن وقتًا طويلاً مرّ لم تدر .. شعرت بـ (علاء) يقترب بوجهه منها ، كان فمه بجانب أذنيها وهو يخبرها شيئًا . لم تسمع ما قال ، لكنها حركت رأسها

لتومئ بالإيجاب كأنها فهمت ، كى تتخلص من شعورها بقربه الشديد منها ، وبحرارة أنفاسه على وجهها .. حررها (علاء) وغير من وضع يدها لتتأبط ذراعه ، شعرت بالإحراج لأنها لم تستجب على الفور ، وأدركت أنه كان يخبرها أنهما سيتوقفان عن الرقص ..

سار بها وهى تشعر كأنها تسير وهى نائمة . افتتحوا البوفيه .. شعرت بضغط راحته على كفها فوق السكين وهو يقطع قالب الحلوى . أجلسوها على إحدى الموائد ، وجلس (علاء) بجانبها .. تذكرت أنها لم تأكل شيئًا يذكر فى هذا اليوم الطويل ، ومع ذلك لم تشعر برغبة فى الأكل ، لكن مشهد الطعام آلم معدتها .. قرب (عادل) يده بالشوكة وعلى طرفها قطعة من الجاتوه بناء على تعليمات من شخص ما .. فتحت شفتيها لتأخذ القطعة بصعوبة شديدة ، ولكنها لم تجرؤ على أن تطعمه هى الأخرى .. أطرقت برأسها ولم تستجب لأى طلب آخر . تظاهرت بالانهماك فى تناول الطعام حتى اختفى كل من حولهم للحظة .

ـ (وفاء) .

ناداها (علاء) :

ـ نعم .

أجابته وهى ما تزال مطرقة .

(وفاء) .

عاد يناديها بصوت أكثر إلحاحًا فرفعت رأسها .

ـ ما بك ؟ هل تضايقت .

ـ إنه فقط ..

ارتبكت بشدة .

ـ أنا غير معتادة على هذا الكم من الناس والضجيج .

ضحك (علاء) بقوة .

ـ إنه أهدأ حفل حضرته للآن .

ابتسمت (وفاء) لتعليقه .

ـ أتدرين شيئًا ؟

سألها وهو ينظر فى عينيها وكأنه يثبت بنظراته عينيها لتنظر نحوه .. سألته وقلبها يدق بسرعة .

ـ ماذا ؟

ـ إنها أول مرة تبتسمين فيها طوال اليوم !!

زاد تضرج وجهها بحمرة الخجل فوق حيائها منه .

ـ أنا لم أقصد ذلك .

ـ وأنا أعلم .

جاءت (ولاء) وقطعت استرسال الحديث :

ـ أريد أن ألتقط صورة معك .

ضحك (علاء) .

ـ معها وحدها بدونى ؟

ـ أبدًا يا (علاء) وكيف تكون الصورة دون العريس ؟

قالت (ولاء) ذلك والتقطت الصورة لهما مع (ولاء) و(أحمد) ، وقد ارتسمت ابتسامة واسعة ـ حقيقية أولاً ـ على وجه الجميع .

* * *



أمسكت (ولاء) بصور الحفل وهى جالسة على السرير بجانب (وفاء) .

ـ كيف تم استخراجها بهذه السرعة :

ـ تكنولوجيا .

نظرت (وفاء) إلى الصور فى دهشة ، شعرت بأنها ليست لها ، ولكن لفتاة أخرى .

أمسكت (ولاء) إحدى الصور وأشارت لأختها قائلة :

ـ انظرى لهذه الصورة ، جميلة . أليس كذلك ؟

نظرت (وفاء) إلى أختها فى الصورة، تسريحة شعرها، فستانها ، كل شىء جميل إلا أنها بدت أكبر من سنها .

ـ فعلاً أنت جميلة .

ـ أنا أتكلم عن كل المشهد ، أنت و(علاء) ، وأنا و ... و(أحمد) .

أخذت (وفاء) الصورة مرة أخرى دون أن تهتم بالنظر فعلا :

ـ آه معك حق ، الصورة جميلة .

مرت زوجة أبيها فرأتها (ولاء) ونادتها :

ـ تعالى يا نانا لتشاهدى الصور .

ـ ثانية واحدة وآتى .

أخذت (ولاء) تجمع الصور .

ـ (وفاء) سآخذها لأريها إياها .

خرجت (ولاء) من الحجرة ، ولكنها تركت خلفها بعض الصور كادت (وفاء) تناديها لتأخذها ، ولكنها لم تفعل ، وإنما أخذت تحدق فى نفسها فى الصورة ، أهذه هى ؟

نظرت لـ (علاء) بعد أن كانت تتحاشى النظر إليه .. كان يقف بجانبها مبتسمًا ابتسامته الواسعة السخية ، إنها لم تدقق النظر فيه من قبل ، خاصة بعد أن علمت أنه طلبها للزواج .

لم تواتها الجرأة أبدًا .. أمسكت الصورة وحدقت

فيه .. لكى ترى ما يعيبه .. فلم تر شيئًا . كان شابًا عادىّ الملامح ، أسمر ، متوسط الطول ، يزيد عنها ببضع سنتيمترات .. فى الحفل لم تجد وقتًا لتسأل أمها عن رأيها مرة أخرى ، أو حتى لتحدثها .. كانت أمها كالأغراب فى الحفل .. وبرغم أنها كانت قد أقسمت ألا تحدثها فى هذا الموضوع مرة ثانية ، بعدما قالته لها عندما ذهبت لزيارتها فى طنطا ، إلا أنها عادت على الرغم منها تفكر فى رأى والدتها : « لاشىء يعيب (علاء) » ، وما أدراها بذلك ؟! كل ما تعرفه عنه فى نطاق القليل الذى يذكره أبوها عن العمل لا أكثر ولا أقل .. رأته بضع مرات ، تبادلا كلمات قليلة .. نعم .. لكن هل تعرف شيئًا عن طباعه ؟ أخلاقه ؟ ما يحب وما يكره ؟ طريقة تفكيره ؟ لاشىء على الإطلاق .. ربما فى مسألة الأخلاق هذه تعلم القليل ، أما فيما عدا ذلك فلا شىء ، كيف وافقت بهذه السرعة ؟ أو بمعنى أصح كيف سكتت عن الرفض ؟ لابأس ، فكرت فى نفسها ، مازال هناك وقت .. إنها مجرد خطبة وهى فرصة لتعرف كل شىء عنه ..

« علىّ أن أتكلم . لايمكن أن أظل صامتة طوال الوقت » . حدثت نفسها بصوت مرتفع .. دخلت عليها (ولاء) .

ـ من تكلمين .

ـ أكلم نفسى .

ـ أهلاً .. هل بدأت الأعراض !

ـ أية أعراض ؟!

لم ترد عليها (ولاء) ..

شعرت بأن أختها فى حالة نفسية لا تسمح بما أرادت قوله .

ـ لاشىء . لاشىء ، أنا أمزح .. هل سيأتى (علاء) اليوم ؟

أثار السؤال حيرة (وفاء) .

ـ فى الحقيقة أنا لا أعرف .

ـ أنت لاتعرفين ، و(نانا) لاتعرف ، من يعرف إذن ؟

طرقعت أصابعها فى الهواء واستطردت :

ـ صح ، أكيد بابا يعرف .. هل أتصل به لأسأله ؟

ـ إياك .

قالتها (وفاء) فى فزع .

ـ ألم أقل لك إن الأعراض ظهرت .

ضحكت منها (ولاء) وضربت على رأسها بأطراف أصابعها وهى تقول :

ـ هل أنت مجنونة ؟ وهل سأجرؤ أنا على الاتصال ببابا لأسأله ؟!

.. قلبك أبيض .

ـ ماذا تريدين يا (ولاء) ؟!

سألتها فى لهجة تهديد ، رفعت (ولاء) كتفيها فى استسلام :

ـ لا شىء .. سأجلس إلى المكتب لأرسم ، ولن تسمعى صوتى .

فعلت (ولاء) ما قالته ، ووضعت سماعتى (الوكمان) على أذنيها ..

شعرت (وفاء) بأن عليها القيام من السرير وفعل أى شىء ..

وقفت من خلف (ولاء) تراقبها وهى تضع الألوان ، كانت ألوانها شديدة القوة .

ـ ألن تغيرى ألوانك هذه ؟

كلمتها (وفاء) دون أن تنتبه للسماعات فى أذنيها ، وعندما انتبهت قررت ألا تحاول لفت نظرها ، تركتها تفعل ما تريد وخرجت .

قابلتها زوجة أبيها بابتسامة عريضة قائلة :

ـ صباح الخير يا عروسة .

خجلت من كلام زوجة أبيها فتمتمت بكلمة صباح الخير ووجهها فى الأرض .

كانت جالسة على المائدة تطعم (محمد) ابنها ..

جلست (وفاء) على المائدة سارحة ، أمسكت الملعقة ومضت تحرك الطعام من جانب لآخر دون أن تأكل ..

كلما رفعت الملعقة إلى فمها .. شعرت بأنها لن تستطيع الأكل فتعود وتنزلها ..

ماذا تنتظر ؟

لم تعرف بالضبط ..

أجهدت عقلها فى التفكير فى والدها وفى (علاء) ..

راقبتها زوجة أبيها دون أن تسألها عما بها . تركتها لأفكارها .. فهى تشعر إلى حد كبير بما تفكر فيه وتعذرها ..

كما أنها مشغولة هى الأخرى فى مشكلة تخصها ..

بل ـ لو أنصفت ـ كارثة تخصها ..

سرحت فى أفكارها حتى إن (محمد) ترك المائدة وذهب ليلعب دون أن تنتبه .. بعد قليل لملمت شتات نفسها وقامت ، جمعت الأطباق لتنقلها إلى المطبخ ، حدثتها (وفاء) :

ـ أبلة .

فوجئت بنداء (وفاء) حتى إن الأطباق كادت تسقط من يديها .. أعادت الأطباق إلى المائدة وجلست على أقرب كرسى إليها وهى تشعر بتلاحق فى أنفاسها ..

ـ ماذا بك ؟

قامت (وفاء) لتطمئن عليها .

ـ لا شىء أنا بخير .

أقلقت نبرتها (وفاء) أكثر فانحنت ونظرت فى عينيها .

ـ أبدًا هناك شىء ، يبدو أنى كنت مشغولة عنك فى الفترة الأخيرة .

تساقطت الدموع من عينى (ناهد) .

ـ أبلة أتبكين !! الأمر جدى إذن ، ماذا هناك .

ـ تعالى يا (وفاء) .

صحبتها (ناهد) لحجرة نومها كى لا تسمعها (ولاء) أو (محمد) .

جلست (ناهد) على طرف السرير وأطرقت برأسها ، وجلست (وفاء) بجانبها منتظرة أن تتحدث وحدها دون أن تدفعها للكلام ، وهى تدعو اللّه ألا يكون الأمر بالخطورة التى يبدو بها .

ـ أنا ..

قالت (ناهد) بعد لحظة ولم تكمل .

ـ أنت ماذا ؟

ـ أنا لا أعرف ماذا أفعل يا (وفاء) :

كانت تتكلم بصوت خفيض وارتباك شديد ، وأخذت تعبث فى شعرها وملابسها طوال الوقت .

ـ أنا .. أنا ..

لم تكمل وكأنها تعانى صعوبة فى النطق بالكلمات .

ـ أخبرينى يا (ناهد) ما الأمر ؟وأكيد سنجد له حلاً .

ـ أنا حامل .

رفعت وجهها إلى (وفاء) وعيناها ممتلئتان بالدموع والرجاء واليأس تنتظر حكمها عليها .. ضحكت (وفاء) .

ـ حرام عليك يا أبلة ، وهل هذه مشكلة ؟ لقد أفزعتنى .

أجهشت (ناهد) بالبكاء ، فأخذتها (وفاء) بين يديها ووضعت رأس زوجة أبيها على صدرها ومضت تربت على رأسها .

ـ ما الأمر ؟ ما بك ؟ أرجوك كفى عن البكاء .. أهو بابا ؟؟

أومأت لها (ناهد) فى صمت .

ـ كفى بكاءً .. ممّ تخافين ؟ ماذا سيفعل لك ؟

فكرت (ناهد) فى يأس كيف أنه لا يريد المزيد من الأطفال .. تعرف هى رفضه التام لهذا الأمر . إنها خائفة من أن تخبره سيظنها تعمدت مخالفته ، ومع ذلك عليها أن تخبره ، فسرعان ما يعرف شاءت أم أبت .. نظرت لـ (وفاء) فى ضعف قائلة :

ـ أنا لا أملك الجرأة لإخباره .. إنه يرفض هذه الفكرة تمامًا .. أنا لا أعرف كيف حدث هذا .. أنا لمْ أتعمد يا (وفاء) أقسم لك .

ـ وبدون قسم اهدئى ولن يحدث شىء .

فكرت (وفاء) هذه هى الحقيقة ؟ كانت تعرف أن أباها سيقيم الدنيا ولن يقعدها ثانية ..

رن جرس التليفون ، فانتفضت (ناهد) بين يدى (وفاء) .

ـ لابأس سأرد أنا .

نظرت لها (ناهد) فى رجاء صامت فأكملت :

ـ ولو كان هو سأخبره أنك .. فى الحمام .

كان والدها على التليفون . أخبرها أن مستلزمات المنزل فى الطريق مع الساعى ، لم يسألها عن (ناهد) فقط ، أخبرها أن (علاء) قادم ليأخذها فى المساء ، وعليها أن تكون جاهزة ؛ لأنه لن يصعد .

سكتت ولم ترد فى أى المشكلتين تفكر الآن ؟

بعد أن أغلقت السماعة نظرت لـ (ناهد) وقالت :

ـ كلما أخبرته مبكرًا كلما كان أفضل .

ـ أعرف .. لكنى لا أعرف كيف أقول له شيئًا كهذا !

ـ ابحثى عن وقت مناسب ، يكون هادئ الأعصاب فيه ، فقط أسرعى .

سمعتا طرقًا على الباب ، انتفضت (ناهد) ، فربتت (وفاء) على كتفها مهدئة لها .. دخلت (ولاء) وهى تنادى بصوتها العالى المرح وتبعها (محمد) .

ـ تعاليا ، ألا تريدان رؤية آخر إبداعاتى ؟

بهتت لمشهدهن .

ـ ماذا هناك ؟!

أجابت (وفاء) بسرعة :

ـ لاشىء .. اذهبا وسنأتى خلفكما .

تلاقت نظرتها معِ أختها .. تعجبت (ولاء) من رد فعلهما ، لكن شيئًا فى نظرة أختها جعلها تؤثر الصمت .. أخذت (محمد) فى يدها وذهبت ..

التفتت (وفاء) إلى (ناهد) وقالت :

ـ يجب عليك أن تتمالكى نفسك ، وعلى أى حال ماذا سيفعل !! بشكل أو بآخر عليه تقبل الأمر الواقع .

ـ أتعتقدين هذا حقًا ؟

تنهدت (ناهد) بقوة ، ونظرت لها بابتسامة قلقة ، فسارعت (وفاء) بطمأنتها ..

خطر فى بالها سؤال طالما سألته لنفسها دون أن تجد إجابه له : لماذا قبلت (ناهد) بالزواج من أبيها ؟؟ رجل مطلق .. له ابنتان .. عمره يزيد على عمرها بعشرين عامًا أو أكثر .. ليس ثريًا .. على الأقل ليس بدرجة الثراء الذى يجعل امرأة تتزوجه من أجل المال . و(ناهد) على أى حال ليست من هذا النوع .. إذن ماذا ؟!

قررت أن تسألها ..

ولكن .. ليس اليوم وأعصابها متعبة .

خرجت وتركتها .. ذهبت لترى أختها .

سألتها (ولاء) :

ـ ما الأمر .. لماذا تبدو (نانا) منزعجة ؟

ـ أبدًا .. تشعر ببعض التعب وتريد أن تستريح فى حجرتها قليلاً ..

حاولت تغيير الموضوع كى تهرب من فضول أختها .

ـ على فكرة (علاء) قادم ليخرج معى هذا المساء .. ماذا أرتدى ؟

قضت وقتًا مع أختها تتظاهر باختيار ما سترتديه ، وعقلها مشغول فى (ناهد) ، تتساءل : ما أقصى ما يستطيع والدها فعله ؟

لم تكن متأكدة من شىء .

لم تكن تعرف متى سيأتى (علاء) بالضبط ، فارتدت ملابسها فى وقت بدا لها مناسبًا ، وجلست تنتظر وهى تشعر بالضيق .. لماذا لم يتصل بها ويخبرها متى سيمر عليها ؟

أراد (محمد) أن يأتى معها ..

ـ لا تستطيع .

ـ ولماذا لا أستطيع !

ـ لأن بابا لن يوافق .

ـ سأستأذن من ماما .

أخذته (ولاء) من يده قائلة :

ـ لا فائدة هى أيضًا لن توافق .. تعال نأكل نحن ، يبدو أننا سنموت من الجوع لو انتظرنا أن نأكل مع أحد .

لم تعلق (وفاء) على ما قالته أختها .. برغم أنها تقريبًا كانت توجه الكلام لها .. ولكنها فكرت فى أن (ناهد) لم تغادر حجرتها ولم تأكل شيئًا منذ الصباح .

وهذا قد يضر بها خاصة فى حالتها هذه .. دخلت الحجرة ، كانت مظلمة الآن .

ـ أبلة (ناهد) .

كانت جالسة فى مكانها كما تركتها لم تتحرك .. لم ترد عليها .

ـ تعالى لتأكلى .

ـ ليست لدىّ رغبة فى الأكل .

ـ أرجوك .. من أجل خاطرى .. أو لخاطر (محمد) .

ـ حسن يا (وفاء) أنا قادمة .

جلسوا ليأكلوا .. سألتها زوجة أبيها :

ـ وأنت يا (وفاء) ألن تأكلى ؟

ـ لا أعلم ، ربما يدعونى (علاء) إلى العشاء ، ولن تكون لدى شهية لو أكلت الآن .

ـ متى سيأتى :

ـ لا أعلم .. فى أى وقت .

لم تمر لحظة على كلماتها حتى سمعت صوت بوق سيارة .. نظرت من النافذة فوجدته واقفًا ينظر باتجاهها . أومأت له برأسها وأسرعت فى اتجاه الباب ..

تبعها صوت (ولاء) ساخرًا :

ـ تمهلى كى لا تنزلى إليه منقطعة الأنفاس .

ـ دمك خفيف .

عبرت لها بحركات وجهها عن سخريتها منها هى الأخرى ، وأغلقت الباب وراءها برفق بقدر استطاعتها ، بعد أن لوحت لـ (محمد) مودعة ووعدته بإحضار حلويات له .. نزلت فى السلالم مسرعة ..

ثم تعمدت أن تبطئ .. كانت تتصرف بتلقائية ، ولكن كلام أختها رن فى أذنها فأبطأت من أجل ذلك ، وأخذت عدة أنفاس عميقة محاولة تنظيم تنفسها وهى تتجه نحوه .

تذكرت قرارها بأن تتحدث معه ..

رآها قادمة نحوه فابتسم ابتسامة هادئة ولم تلحظ نظرة الإعجاب الواضحة فى عينيه .

ـ أهلاً ..

بادرها بالتحية ومد يده ليصافحها ، فمدت يدها هى الأخرى ، وما كادت يدها تمس يده حتى سحبتها بسرعة .

فتح باب السيارة لها لتصعد .. خطر فى بالها سؤال ، أهذه هى سيارته ؟ لاتدرى ..

على أى حال هى لن تجرؤ على سؤاله ..

سادهما الصمت بعد أن عاد يحييها ويسألها عن حالها ، وعادت ترد عليه فى اقتضاب . لم تقصد ذلك ، لكنها لم تعرف ماذا تقول ..

ومع ذلك عليها أن تكلمه ، تتعرف عليه وعلى آرائه وأفكاره ، وتعرفه ..

لايمكن أن تظل هكذا حتى تجد نفسها وقد تزوجته .

أخذتها أفكارها بعيدًا ، أما هو فقد انتظر حتى يصلا ليتحدث معها .

على المائدة سألها إن كانت ترغب فى الطعام على الفور أو إن كانت تفضل أن تشرب شيئًا أولاً .

ـ نعم من فضلك عصير برتقال :

طلب لها العصير.، ولم يطلب لنفسه شيئًا . تابعته ببصرها .. نظر لها متمعنًا ، وتلاقت نظراتهما ، فخفضت عينيها .. بدأ فى الكلام .

ـ أردت أن أخبرك الكثير عن نفسى ، وأن أعرف الكثير عنك .. لكن الأستاذ (مصطفى) أخبرنى أنه لا مقابلات قبل الخطبة ، وهذا مفهوم بالطبع .

فكرت فى نفسها ، لكننا خرجنا .. رد وكأنه سمعها .

ـ بالطبع المرات السابقة لا تذكر ..

صمت للحظة قبل أن يكمل :

ـ على أى حال أظن أنك تعرفين الكثير عنى .

فكرت فى نفسها ، ومن أين لى ذلك ؟! بدا الاستغراب على وجهها واضحًا وهى تنظر نحوه .. ارتبك .

ـ كنت أظن .. أعنى .. ألا يتكلم الأستاذ (مصطفى) عنى .. ألم يخبرك شيئًا ؟

تأثرت بارتباكه ، كانت قد رأته عددًا من المرات . تحدثا عبارات قليلة ، وذكره أبوها فى المرات القليلة التى تحدث فيها عن عمله ، هذا ما اعتقدته .. لم تكن تدرى أنها تعرف عنه الكثير بالفعل .. أجابته :

ـ نعم .. أحيانًا .

ـ وعندما طلبت يدك ؟

ـ لقد أخبرنى وحسب .

ندمت على تسرعها ..

ماذا تخبره !! ما الذى تقوله !!

أنها وافقت عليه دون أن تعرف أى شىء عنه !!

أم أنها لم توافق ولم يؤخذ رأيها !!

على أى حال بدأ أنه لم يفهم الأمر كما صوره لها عقلها ..

- على أى حال ها هى ذى فرصتى قد جاءت لأخبرك عن نفسى بالتفصيل .. أنا كما تعلمين محام ، فقد بدأت مع والدك فى مكتب المحاماة قبل أن ينشئ الشركة وأنتقل إليها معه .. أنت طبعًا تعلمين ذلك منذ أيام العمل فى طنطا ..

نظرت إليه ، فحرك رأسه نفيًا واستطرد :

- لا . أنا لست من طنطا :

رد على سؤال لم تطرحه .

- أنا أصلاً من شرشابة ، كنت حديث التخرج ، وكانت فرصة العمل مع الأستاذ (مصطفى) أكثر من رائعة .. على أى حال لن أشغلك بالتفاصيل .. أنا الآن يده اليمنى خاصة بعد أن آثرت الأستاذة ثريا تخفيض ساعات عملها فى السنين الأخيرة .. عمرى ٣٤ سنة ترتيبى الثانى بين إخوتى الخمسة سالم ونادرة وعايدة

ومجدى وأحمد آخر العنقود . وقد عرفتك عليهم جميعًا فى الحفل ، وجميعهم متزوجون إلا أحمد ، وهو مازال يدرس .. إننا لم نطلب شيئًا بعد .. كان قد انتبه لقدوم الجارسون ، بينما لم تلحظه هى .. قام بطلب طعام العشاء دون أن يسألها ماذا تفضل ، وأكمل كلامه بعد أن ابتعد الجارسون :

- أبى مزارع بسيط ووالدتى ربة منزل و ... وفقط .

سكت هو ولم تدر ماذا عليها أن تقول . ظلت تفكر دون أن تنطق .

- هل أثقلت عليك بحديثى ؟

انتبهت من أفكارها وأنكرت بشدة .

- يبدو أنى تحدثت كثيرًا دون أن أترك لك فرصة للكلام ..

انتظرها تعلق على كلامه ، ولما لم تفعل أكمل :

ـ لقد جاء دورك فى الحديث .

لم تعرف كيف تتهرب من سؤاله ، أو إن كانت تريد أن تتهرب منه ، وفى نفس الوقت لم تعرف على وجه التحديد ماذا يجب عليها قوله ..

أتاح مجىء الجارسون ـ بالطعام ـ لها لحظة إضافية . أعجبها ما اختاره . يجب عليها أن تعترف بأن ذوقه فى الطعام عال ، وقد اختار الطعام الذى تحبه .. بدآ فى تناول الطعام .. لم يضغط عليها لتتكلم ، لكنها شعرت بانتظاره لها لتتكلم .

ـ حسن .. أنا أعتقد أنك تعرف كل شىء عنى ..

استعارت كلماته ، ومع ذلك فوجئت عندما أومأ لها موافقًا .

ـ إذن ليس هناك شىء أخبرك به .

ـ كيف ذلك ؟! إن هناك الكثير الذى أود سماعه منك ، مثلاً دراستك .

ـ ماذا أخبرك عنها .

ـ كنت أعرف أنك كنت تخططين لدخول كلية الحقوق مثل والدك فماذا حدث ؟

تذكرت (وفاء) هذه الفترة من حياتها ، وكيف كانت مصممة على تتبع خطى أبيها .. حقًا ماذا حدث ؟

ـ لقد نصحنى بابا بأن أستفيد من المجموع الذى حصلت عليه لدخول كلية الاقتصاد والعلوم السياسية و ...

سكتت فعاد يسألها عما حدث .

ـ لاشىء دخلت الكلية وعشقت دراسة الاقتصاد .

ـ لماذا ؟

ـ فى الحقيقة قد تبدو السياسة هى المحركة لكل شىء فى العالم ، لكن العكس هو الصحيح . إن المصالح الاقتصادية هى التى تتحكم فى كل شىء وتقود السياسة .. بالطبع ليس فى كل الحالات ، فالأمر يعتمد على عدد من العوامل .

تكلمت بحماسة شديدة لأول مرة منذ جلست ، التقت عيناها بعينيه فارتبكت من طريقة تحديقه بها فسكتت ..

* * *

كان من الواضح أن هناك الكثير والكثير ليقال عنها وعنه .

لم تسأله بعد لم اختارها ، ولم يعرف منها لم قبلت ، وأشياء أخرى كثيرة .. نظر فى ساعته وأدرك أن عليه أن يعيدها . نظرت هى الأخرى فى ساعتها . كان الوقت قد تأخر .. كيف مر كل هذا الوقت دون أن يشعرا ..

طلب الحساب ، ووضع مبلغًا من المال وذهبا ، لم يتحدثا كثيرًا فى طريق العودة ، فقط أخبرها أنه سيمر عليها مرات أخرى ، أما هى فلم تتكلم ، لكنها فكرت وفكرت كثيرًا جدًا فى كل ما يحدث من حولها .

* * *



[م ٧ – زهور عدد (٩٤) – القرار الصعب]



التفتت (وفاء) إلى أمها غاضبة :

ـ لماذا انفصلت عنه ؟ لماذا تركتنا نفقد اجتماعنا معًا ؟

لماذا لم تحاربى كى نظل أسرة ؟

ـ أتظنين أنى لم أحارب بقوة ؟ لقد اتخذت أصعب قرار يمكن لامرأة أن تتخذه .. لم أستطع الاستمرار ، صدقينى .. كان علىّ أن أنفصل عنه .. كان من السهل علىّ أن أستمر مقهورة وأنقل لكم القهر المختزن بداخلى كل يوم .. لكنى آثرت أن أنقذكم وأنقذ نفسى .

لم تلن لكلمات أمها ولهجتها التى ترجوها أن تتفهم موقفها وهاجمتها .

ـ ولماذا لم تتمسكى بنا .

ـ لقد تركت لكما الاختيار .

ـ تركته لى ، جعلتنى وأنا فى تلك السن الصغيرة أتخذ قرارًا لنفسى ولأختى ، قرارًا ما كان يجب أن أوضع أمامه .

ـ لقد قلت إنك تستطيعين اتخاذه .

ـ حقًا !!

ضحكت (وفاء) ساخرة :

ـ وأنت صدقتنى ؟! أو لو كنت جئتك فى ذلك اليوم متخذة قرارًا بالزواج مثلاً ، أكنت وافقتنى ؟ دعك من الزواج وليكن قرارًا أبسط : أن أترك دراستى مثلاً ، بل لنجعله قرارًا أبسط وأبسط : أن أقص شعرى تمامًا ، هل كنت ستتركيننى أنفذ مثل هذا القرار ؟ أجيبينى .

ـ لقد فعلت ما ظننته أفضل . ولكن ليس لك الحق فى أن تحاكمينى .

ـ ليتنى أفعل ، إن ما أفعله هو محاكمة نفسى كل يوم عن هذا القرار الذى اتخذته .. هل حقًا تركك لأبى كان أصعب قرار اتخذته ؟ هل كان هذا هو القرار الذى استجمعت شجاعتك لتتخذيه ؟

ـ أنت كنت كبيرة بما يكفى لترى أن حياتنا كانت مستحيلة .

كانت تعلم أن أمها معها حق .

ـ ومع ذلك كان بإمكانك الاستمرار .

ـ نعم لن أنكر وأقول إنى لم أكن أستطيع الاحتفاظ بكونى زوجته برغم كل شىء ، صدقينى كان من السهل علىّ أن أفعل ، أظل على ذمته وأحصل منه على نقود تكفى تربيتكما ، وربما كان يجىء لزيارتنا من وقت لآخر ، وأبقى أنا معكما ، صورة وردية لا ينقصها شىء .

ـ ولماذا لم تفعلى ؟

ـ لم أستطع قبول هذا لا لى ، ولا لكما .. أتعتقدين أنى لو كنت فعلت كنت ستجدين السعادة أنت وأختك ؟

ـ هل تريديننى أن أعتقد أن هذا كل ما فى الأمر ؟ أنا وأختى .

قالت بنبرة اتهام واضحة .

ـ ماذا تقصدين ؟

سألتها أمها فى دهشة وردت عليها (وفاء) فى قسوة .

ـ أقصد أن كل ما أهمك وقتها هو سعادتك وحدك . كأن القرار يخصك وحدك ، نسيت هاتين المخلوقتين اللتين أتيت بهما إلى هذه الدنيا .

ـ إذا كنت لا تصدقينى فأنا آسفة جدًا .. كل ما أردته ألا أمزق حياتكما .

ـ أتظنينها لم تتمزق !! أنت السبب .. أنت السبب ..

قامت (وفاء) صارخة والعرق يغمرها .. كان الظلام دامسًا . فمدت يدها مترددة وهى ترتجف خوفًا لتضىء الأباجورة بجانبها .. طمأنتها رؤية

أختها نائمة على السرير المقابل .. تركت نفسها لتسقط مستلقية على السرير مرة أخرى .. شعرت بجسدها مضعضعًا هذا الحلم الذى يتغير كل مرة ، مرة تتهم أمها ، ومرة تتهمها هى وأخرى (ولاء) . حرب دائمة فى نفسها .. تساءلت فى وهن : لماذا ألومها أو ألوم نفسى ؟ إنه أبى . هو السبب ، هل أخافه كما تقول (ولاء) هل هذا هو السبب فى أنى لا أعترف بأنه هو من حطم حياتنا ، أم أن الأمر أكبر من ذلك ؟ اتفاق على أن الحياة لا يمكن أن تستمر ، وأن استمرارها سيتسبب فى دمار أكبر بكثير مما سيفعل إنهاؤها .. لم تشغل (وفاء) نفسها بإيجاد إجابات . كانت هذه الأسئلة تدور فى عقلها منذ سنوات طويلة ولن تجد إجابتها اليوم .. نظرت فى الساعة بجانبها .. كانت الثالثة صباحًا . شعرت بعطش شديد دون أن تستطيع التحرك لإحضار كوب ماء . نامت ، أو بمعنى أدق غرقت فى النوم دون أن تشعر ، والنور مضاء بجانبها يطمئنها . أيقظتها حركة (ولاء) .

قالت دون أن تفيق تمامًا :.

ـ كفاك ضجيجًا يا (ولاء) أريد أن أنام :

ـ معك حق ، تقلقينى بالنور الذى تضيئينه ، ثم تنامين أنت .. ثم أى نوم هذا ، لقد أصبحنا ظهرًا .

ـ كفى أرجوك ، أنا أشعر بصداع شديد .

ـ من كثرة النوم يا أستاذة .

ـ (ولاء) ! اخرجى من الحجرة الآن . أرجوك ..

خرجت (ولاء) من الحجرة وهى تتمتم لنفسها (ولاء) اخرجى .

(ولاء) لا تتكلمى (ولاء) ..

قابلتها زوجة أبيها .

ـ مالك يا (ولاء) .. أتكلمين نفسك ؟

ـ جننت .. وربى جننت .

- لاحول ولاقوة إلا بالله .. مالك يا بنتى ؟!

- (وفاء) يا نانا .. (وفاء) طول الليل تهلوس ثم تضىء النور وتُقلق منامى ، سأصاب بالكوابيس من كثرة نومى معها ، حالتها متأخرة ، وأكيد ستُصيبنى عدوى .. ألا أستطيع النوم فى مكان آخر ؟؟

تحدثت بجدية شديدة ورثاء لنفسها أضحك (ناهد) بشدة .

- اذهبى لتحضرى أخاك من نادى الكمبيوتر .. هيا أسرعى .

- حسن ربما يريح أعصابى خروجى من هذا البيت . تذهب هى لتسهر لتعود آخر الليل بكوابيس بدلاً من الأحلام الجميلة .

أخذت حقيبة يدها وأغلقت الباب ..

أطلت (ناهد) من باب الحجرة على (وفاء)

فوجدتها مستلقية على السرير فخرجت وقد ظنتها نائمة ، لكن (وفاء) نادتها ..

- تعالى يا أبلة أنا صاحية ، وكيف أنام بعد الثورة التى أقامتها (ولاء) .

- لاتعتبى عليها .. أنسيت كيف كان حالك فى سنوات الثانوى ؟

- مالى ؟ كنت هادئة لايسمع لى صوت . أقرأ ليل نهار .

- يا (وفاء) ؟!

داعبتها (ناهد) وهى تتذكر كيف كانت فى هذه السنوات ، كانت إعصارًا متنقلاً .

- هيا قومى كفاك كسلاً .. لم تخبرينى ماذا فعلتما أمس !

خرجت (ناهد) من الحجرة وتبعتها (وفاء) .

ـ لاشىء .. أنت من لم تخبرنى ، هل كلمت بابا ؟

خفضت (ناهد) رأسها وتشاغلت بجمع لعب (محمد) . نظرت لها (وفاء) طويلاً منتظرة إجابتها ، و(ناهد) تتفادى النظر لها .

ـ لم أفعل بعد .. لكنى سأخبره اليوم ..

ـ أريد أن تتشجعى .

ـ سأفعل بإذن اللّه .

لم يمر وقت حتى وجدت (ولاء) تدخل وفى يدها (محمد) . كانت ملابسه مغطاة ببقع أيس كريم ، نظرت (ناهد) لـ (ولاء) مندهشة .

ـ ما هذا ؟

ـ لقد كنا نلعب .. أقصد نأكل ثم بدأ الآيس كريم يتناثر . علىّ أى حال سأغسله حالاً .

ـ لا داعى .. لا داعى ، ادخلى بدلى ملابسك وأنا سأنظف (محمد) .

دخلت (وفاء) واستلقت على سريرها تقرأ .. بادرتها (ولاء) بقولها :

ـ ألا تغادرين هذا السرير أبدًا ؟!

ـ وماذا يزعجك فى هذا ؟

ـ لا شىء ، فقط لا أعلم كيف تحتملينه بعد كل هذه الكوابيس .. على فكرة ، بماذا حلمت ليلة أمس ؟

تركت (وفاء) الرواية التى بيدها وبدأت تركز تفكيرها لتتذكر .

ـ لقد نسيت .. أتعرفين برغم أنى عندما استيقظت فى الليل كنت لا أزال أتذكر . أما الآن فقد نسيت .. لكن الحلم كان طويلاً طويلاً ومليئًا بالكلام ؟

ـ هل كنت معك ؟

ـ لا أعتقد .. ماما فقط .. على أى حال دعينا من هذه السيرة .

تكلمت (ولاء) بجدية :

ـ أنا أرى أن عليك إيجاد حل لهذه الحالة .

ـ وماذا أفعل برأيك ؟

ـ اذهبى لطبيب نفسى .

ـ أتصدقين يا (ولاء) .. ربما آخذ برأيك .

سكتت قليلاً تفكر .

ـ لكن بالتأكيد ليس الآن .. اتركينى لأقرأ .

ثم أمسكت الرواية واستدارت .

ـ كما تحبين .. على فكرة ما أخبار (علاء) ؟

عادت (وفاء) تواجهها :

ـ (ولاء) أريد إنهاء الرواية التى بيدى ، بعدها نجلس ونتكلم عن (علاء) .

ـ حسن .. كما تحبين ..

قالت (ولاء) وهى تشعر بالغضب لأن أختها لاتريد محادثتها ، وانعكس شعورها فى صوتها ، لكن (وفاء) كانت قد اندمجت فى القراءة حتى إنها لم تلحظ ذلك .

وضعت (ولاء) سماعتى « الوكمان » على أذنيها وجلست لترسم .

* * *





- (وفاء) . أريد أن أتحدث معك .

دخل والدها الحجرة بعد أن طرق الباب ، ومع ذلك فوجئت بصوته فاعتدلت مرتبكة .

- نعم .

- تعالى .

لم تشعر (ولاء) بدخول أبيها ولا بخروجه مع (وفاء) . كانت تعطيهما ظهرها وهى تسمع الأغانى وترسم .

جلست (وفاء) أمام المكتب وجلس أبوها - على كرسيه - خلفه .

كانت بينهما مسافة كبيرة سمحت لها بألا تنظر إليه مباشرة ..

- لم تخبرينى ، ما رأيك فى (علاء) !

- أنا .. أنا لم أكون رأيًا بعد .

- لكنك لا تعترضين عليه مبدئيًا ؟!

كان يخبرها أكثر منه يسألها ، فاعترضت :

- ولكن .

- ولكن ماذا .. أنا أرى أن نعجل بعقد القران .

- لماذا ؟

- كى تأخذا حريتكما بصورة أفضل ، كما أنى مسافر قريبًا وسأبقى فى الخارج فترة ، وأريده أن يدخل ويخرج دون أدنى حرج .

- لكنى أر ....

قاطعها والدها .

- لكنك ماذا ؟

- أنا لست متأكدة من موافقتى عليه بعد .. أنا لا أعرف شيئًا عنه .

ـ أنا أعرف كل شىء عنه ، وهو إنسان ممتاز .

ـ لكن أ ....

قاطعها فى ضجر :

ـ لكن .. لكن .. لكن ، أليس لديك شىء سوى لكن هذه ؟

عقد القران يوم الخميس .. لن يكون هناك احتفال ، فقط سنذهب للمأذون .

ـ لكن يا بابا :

ـ انتهى الكلام . لا أريد سماع كلام آخر فى الموضوع .

أسكتتها لهجة والدها ، وخرجت غاضبة .. دخلت الحجرة .

ـ لايمكن ، لابد أن هناك سرًا فى الأمر .

التفتت لها (ولاء) وأنزلت السماعات عن أذنيها .

ـ ماذا هناك .

ـ عقد قرانى يوم الخميس القادم .

ـ ماذا ؟!

ـ يبدو أن بابا يريد التخلص منى .

ـ ولماذا لم ترفضى وتأخذى موقفًا ؟

ـ لا بأس ، إذا كان يريد التخلص منى ، أنا أيضًا أريد التخلص من هذا البيت ، لقد سئمت تحكمات بابا فى كل شىء .

ـ وما أدراك أنك لن تستجيرى من الرمضاء بالنار ، ويكون (علاء) أسوا ؟

ـ لا .. لا أعتقد ، كما أنى سأكون ندًا له .

ـ لكنك لم تعرفيه جيدًا لتحكمى عليه :

ـ لا بأس . مازالت أمامى فرصة لأراه وأتكلم معه .

- أرجو فقط لأجلك ، ألا تجدى زفافك الخميس التالى .

- (ولاء) لا تخيفينى أرجوك ، يكفى ما أنا فيه .

رفعت (ولاء) كتفيها فى استسلام . وقالت :

- كما تريدين .. لكنى أحذرك ، لقد قبلت خطوة وراء الأخرى ، ولن تجدى فى نفسك القدرة على الرفض المرة القادمة .

دخلت (ناهد) الحجرة قبل أن تجد (وفاء) الفرصة للرد على أختها ، وقد أشعرتها كلماتها بالخوف الشديد .

- تعالى يا (وفاء) . جاء خطيبك .

- لحظة واحدة أبدل ملابسى .

- حسن .. فقط أسرعى .

ثم اقتربت (ناهد) من (وفاء) وهمست فى أذنها :

- سأحدثه بعد أن تنزلى .

بعد أن خرجت (ناهد) نظرت (ولاء) طويلاً لأختها ، وابتسمت ابتسامة صفراء .

- هيا أسرعى .. أسرعى فى تبديل ملابسك وإلا ..

تركت التهديد معلقًا فى الهواء ساخرة حتى استفز (وفاء) كلامها .

- نعم ، سأسرع ، وعن إذنك اخرجى من الحجرة .

- كما تحبين .. مع السلامة .. سهرة سعيدة .

قالتها باستخفاف ، وألقت لها بقبلة فى الهواء قبل أن تخرج .. جلست (وفاء) لاتتحرك . فكرت . لالن أسرع فى تبديل ملابسى ، ولن أسمع كلام بابا ، ولن أفعل أى شىء .

بذلك حدثت نفسها ومع هذا وجدت نفسها تتحرك بآلية لترتدى ملابسها .. خرجت لتجدهم جميعًا يجلسون معه . قام عندما دخلت وما إن جلست حتى وقف والدها قائلاً :

- سأدخل المكتب لأراجع بعض الأعمال .

نظر إلى (علاء) موجهًا حديثه إليه :

ـ وقتك معك وأنت تعرف ما ينبغى فعله .

شعرت (وفاء) بالحيرة من كلام والدها ، هل هى موضوع عمل آخر يناقشانه ، ولماذا يعامل (علاء) بهذه الطريقة ؟

* * *

وهى تجلس مع (علاء) فى الكافيتريا قررت أن تنحى خجلها جانبًا .

ـ لماذا أنت متعجل بهذه الطريقة ؟

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ أقصد خطوبة فى أسبوعين وعقد قران فى أسبوعين ، وزفاف يعلم الله متى يكون ، ربما بعد اسبوعين هو الآخر .

كانت تكلمه بهدوء ، لكن الكلمات أفصحت عن الضيق المعتمل بداخلها .

ـ وأنت غير موافقة ؟

قال ذلك وابتسم لها .

ـ أنا لم أقل هذا .. أنا فقط لا أفهم لماذا التعجل ؟ لماذا لا نأخذ فرصة أحسن لنتعرف على بعضنا .

عاد يرد بهدوء وبابتسامة :

ـ على فكرة أنت تظنيننى متعجلاً ، لكنى حادثت الأستاذ (مصطفى) فى الموضوع منذ سنتين ، وقد أجل الكلام لأكثر من مرة ، وهو الذى يحدد التوقيتات ، ومع ذلك لو كان الأمر بيدى لتزوجنا أمس قبل اليوم .

بشكل ما شعرت أن هذا إطراء لها ، فخفضت عينيها ولم ترد .

شعرت بحرارة تغزو وجنتيها .. سكت (علاء) قليلاً قبل أن يقول :

ـ لم نكمل تعارفنا على بعضنا ، ما هواياتك ؟

ـ القراءة .

قالت بحماسة وهى تبتسم .

ـ شىء جميل ، أنا أيضًا أهوى القراءة ، فى أى مجال تقرئين ؟

ـ كل شىء أدب شعر ، اقتصاد وسياسة .

دار الحديث بينهما بعد ذلك فى العديد من الموضوعات ، ولم تشعر إلا وهى أمام المنزل تستعد للصعود .

ـ ألن تأتى ؟

سألته فى خجل .

ـ لا داعى ، لا أريد إقلاق الأستاذ (مصطفى) .

شعرت وهى تصعد السلالم بفرحة شديدة ، ثم أفاقت لنفسها ، ما بها ؟ كلمة من أبيها تغضبها ،

وكلمة من (ولاء) تشككها وتحيرها ، وكلمة من (علاء) تطمئنها وتقنعها وتسعدها .. أين هى من كل ذلك ؟

أين رأيها وإرادتها ؟ وضعت يدها على جبينها .. يا إلهى ماذا أفعل ؟

رنت الجرس ، وفتحت لها (ولاء) الباب على الفور ، همت بالكلام لكن (ولاء) أشارت لها لتسكت ، ثم لتتبعها ، دخلت (وفاء) الحجرة لتجد (محمد) نائمًا على سريرها .

ـ ماذا هناك :

سألت (وفاء) بلهفة بعد أن أغلقت أختها الباب عليهم .

ـ مشاجرة بين (بابا) و(ماما) .

ـ أما زالا يتشاجران ؟

ـ لا . لقد سكتا منذ وقت قصير ..

نظرت لها (ولاء) فى تعجب .

ـ لم تسألينى فيم كان الشجار .

جلست (وفاء) على السرير وخلعت الحذاء من قدميها وابتسمت فى مرارة لأختها وتنهدت فى قوة :

ـ لأنى أعرف .

ـ أخبرتك ولم تُخبرنى .. حسن !

هزت رأسها وأكملت :

ـ أسرار بينك وبين (نانا) وكلام فى السر ، وعندما أسأل أنا لاشىء ، متعبة قليلاً .

ـ ألا تسكتين أبدًا ؟ أما يكفى ما نحن فيه ؟

ـ بل يكفى ويزيد ، حسن سأسكت ، يبدو أن كل ما أفعله هذه الأيام هو تلقى أوامر بالسكوت ، منك ومن (بابا) .

نظرت لها أختها بعدم تصديق .

ـ (ولاء) هل حدثت (بابا) .

انفعلت (ولاء) :

ـ نعم .. طلبت منه أن يدع (نانا) وشأنها .

وضعت (وفاء) يدها على فمها مستنكرة .

ـ مالك أنت وهذا الأمر ؟!

ـ هذا ما قاله .. لكن على أى حال قلت ما أريد ، ودافعت عن (نانا) .. أنا لا أخاف منه .

ـ حسن .. حسن .. اسكتى ، كفى حتى لا يستيقظ (محمد) ، هل ستنقلينه أم سينام معى ؟

ترقرقت الدموع فى عين (ولاء) وهى تنظر لأخيها النائم .

ـ دعيه ينام هنا ، مسكين لم يتعود على الشجار ولم يفهم سببه .

* * *

تنهدت (وفاء) بقوة ، وتذكرت شعورها هى و(ولاء) فى ليالى الشجار الطويلة ـ وشعرت بألم يغزو صدرها ، وبالدموع تترقرق فى عينيها هى الأخرى ، لكنها وارتها وعادت تتنهد بعمق .

ـ حسن هيا لننام ، لقد تأخر الوقت .

* * *



٩

شعرت (وفاء) بألم شديد فى جسدها ، وبأن تنفسها ثقيل ، وحلمت بكابوس آخر ، حلمت بأمها واقعة فى بئر عميقة وبأنها كانت تمد يدها وتناديها لتساعدها ، وعندما جاءت هى تدلت من فوهة البئر وكادت تقع ، فأخبرتها أمها أن تذهب كى لاتسقط فتركتها ..

قامت (وفاء) من نومها والدموع فى عينيها ، على صوت (ولاء) توقظها قائلة :

ـ (وفاء) قومى، إنك تفزعين (مودى) .. استيقظى أرجوك .

قالت (وفاء) مستغربة .

ـ ماذا حدث ؟

ـ ماذا حدث ! إنها الكوابيس اليومية بالإضافة للهلوسة .

ـ ماذا كنت أقول ؟

ـ أنا تركتها ، أنا السبب .. أشياء من هذا القبيل .

فكرت (وفاء) فى نفسـها ، هذه هى الحقيقة ، هى تركت أمها ، شعرت بألم شديد فى نفسها .

ـ (وفاء) أين ذهبت .

ـ ماذا حدث :

ـ مـاذا حدث مرة أخرى ؟ أليس لديك شىء آخر تقولينه ، قومى لترى (نانا) .

ـ هل خرج (بابا) ؟

ـ لا أدرى .. أعتقد أنه خرج .. اذهبى هيا .

دفعتها بيدها لتقوم بعد أن شدت الغطاء من عليها .

ـ حاضر .. حاضر .. سأذهب ، فقط اتركينى دقيقة لأستجمع نفسى .

لم تمر ثانية حتى عادت (ولاء) تلح عليها .

ـ هل استجمعت نفسك ؟ هيا إذن . اذهبى .

تنهدت (وفـاء) استسلامًا ، وقامت وهى تشعر بأنها لم تتخلص بعد من آثار الكابوس ..

بحثت عن (ناهد) فى أنحاء البيت فلم تجدها . توجهت لباب حجرة النوم المغلق وطرقته . سمعت صوت (ناهد) يدعوها للدخول ففتحت الباب ودخلت . كانت (ناهد) ممددة فى سريرها . رفعت نفسها قليلاً مع دخول (وفاء) وأسندت ظهرها على ظهر السرير . لاحظت (وفاء) انتفاخ جفونها واحمرار عينيها .

ومع أنها لم تكن تبكى ، إلا أن شكلها دل على أنها قضت الليل بطوله تبكى ، جلست (وفاء) على حافة السرير بجانبها .

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا شىء مجرد شجار .. المهم أنى أخبرته .

نزلت (ناهد) من على السرير فى هدوء وفتحت دولابها وأخرجت فستانًا ، نظرت لها (وفاء) بفزع .

ـ هل ستتركين المنزل ؟!

ـ لا .. لا تقلقى . لن أترك المنزل ، فقط سأذهب لزيارة ماما ، فلم أرها منذ فترة ، (وفاء) من فضلك اتصلى ببابا وخذى لى إذنًا منه .

قالت المقطع الأخير وكأنها ستعاود البكاء فلم تستطع (وفاء) أن ترفض .

ـ حسن . سأفعل .

خرجت (وفاء) لتحدث والدها من الوصلة التى فى حجرة المعيشة كى لاتسمعها (ناهد) وهى تكلمه .

ـ كما تريد .. فلتفعل ما تشاء .

كانت تظن أن عليها التوسل ليقبل ، لكن إجابته حملت معنى آخر لأذن (وفاء) .. هل هذا معقول ؟!

لا أهمية لديه إن كانت تترك المنزل أو لا .. عندما

هانت عليه عِشرة سبعة عشر عامًا مع والدتها ، فكرت (وفاء) بأن ما فعله ربما لأنها كانت قد تقدمت فى السن ، ربما لأنها لم تعطه الولد .. ربما لأنها كانت تناقشه وتجادله ، وبالتالى كانا فى شجار مستمر ، أما (ناهد) فكانت على العكس فى كل شىء ، صغيرة فى السن ، أعطته الولد ، لم تجادله أو ترفض له أمرًا أبدًا .. إذن ما الأمر ؟

أين المشكلة ؟!

ـ (وفاء) .

أيقظها نداء زوجة أبيها من أفكارها ، سألتها :

ـ ما الأمر ألم يوافق ؟!

ـ لا .. على العكس ، فقط يطلب منك ألا تتأخرى .

ـ لن أتأخر .. كما أنى سأترك (محمد) لكن .

قبل أن تغلق (ناهد) الباب وراءها استوقفتها (وفاء) بنداء مُلحّ .

ـ أبلة ؟

ـ نعم يا حبيبتى .

جرت (وفاء) نحوها وأمسكت الباب .

ـ ستعودين ، أليس كذلك ؟

نظرت فى عينيها مباشرة وحمل تساؤلها قلقًا كبيرًا ابتسمت (ناهد) بقدر ما سمحت لها ملامحها الحزينة وربتت على خد (وفاء) :

ـ طبعًا سأفعل .

ـ بإذن الله .

* * *

دخلت (وفاء) الحجرة لتجد (ولاء) مستلقية على سريرها بجانب (محمد) .. اعتدلت قليلاً عندما دخلت أختها ونظرت لها متسائلة .. جلست (وفاء) على السرير الآخر وحركت رأسها فى حركة لا تلقائية حائرة ، وأخذت نفسًا طويلاً ولم تخرجه

على الفور ، بل انحبس فى صدرها قبل أن يخرج من فمها بقوة كانت تحاول التماسك .

ـ خرجت ..

انزلقت (ولاء) على السرير مستلقية مرة أخرى ، وضعت يدها على رأسها وقالت فى يأس :

ـ تركت البيت !

ـ لا .. لم تفعل ، ذهبت تزور أمها .

ـ خرجت ولن تعود .

أزعجت نبرة اليأس فى صوتها (وفاء) ، فقالت فى تصميم :

ـ لا .. بل ستعود ، لقد وعدت ..

ثم استطردت وكأنما خطر على بالها دليل فهم على قولها :

ـ كما أنها تركت (محمد) معنا .

ضحكت (ولاء) ساخرة :

ـ معك حق . تركت (محمد) معنا .

شعرت (وفاء) بالقلق مما تقوله أختها ومن أسلوب حديثها .

ـ ماذا تعنين ؟

فكرت (ولاء) فى (محمد) أخيها ، فى الأطفال الحائرين فى كل مشكلة تحدث ، فى (وفاء) التى تتكلم وكأنّ تركْ (ناهد) لـ (محمد) معهن ميزة ودليل قاطع على أنها ستعود . لم تخبر (وفاء) بشىء مما تفكر فيه ، وأجابتها فى هدوء :

ـ لا شىء .. لا شىء دعينا لا نسبق الأحداث .

ـ أجل .

فكرت (وفاء) وهى توافق أختها على أن الخوف ليس من (ناهد) ، إن (ناهد) ستعود إن عاجلاً أو آجلاً .. كل تاريخها السابق مع أبيها يقول بهذا ..

لقد تقبلت منه الكثير ، ومن معرفة (وفاء) بها كانت متأكدة من أنها ستتحمل أكثر وأكثر .. نعم الخوف ليس من (ناهد) ، لكن من أبيها ، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية .. فكرت (وفاء) فى أبيها .. أين البرج العالى الذى كانت تضعه فيه فوق كل البشر ؟ إن السخرية الحقيقية أنها لاتزال تضعه هناك فوق هذا البرج ، وأوامره مطاعة لا تزال تحبه ، وفوق كل ذلك تحترمه ، لم تكن مشاعرها بيدها لتبدلها ..

أرادت أن تخرج من أفكارها بأى طريقة .

ـ هيا يا (ولاء) . ألن تأخذى (محمد) لدرس الكمبيوتر ؟

ـ لماذا ؟

ـ كى يكمل دروسه ، ولا يشعر بفرق ، وكى ينشغل ويرى أصحابه ..

بدا أن (وفاء) ستظل تعدد أسبابًا بلا انقطاع ، فقاطعتها (ولاء) بهدوء :

ـ كفى .. كفى .. حاضر سأذهب .

خرجت (وفاء) من الحجرة كى تفكر فيما ستعده من طعام .. فكرت أن مع أبيها حقًا فى ثورته ، لكن ماذا فى يد (ناهد) ؟ ماذا فى يدها ؟ لقد حدث ما حدث وانتهى الاختيار فى هذا الأمر ، كانت تعرف أن مثل هذه الأمور تصيب أباها بالجنون ، عندما لا يحدد هو ما يحدث ، عندما لا يضع هو القواعد ، لكن لا يمكن أن يخضع كل شىء لإعداد مسبق .. شق السكون حولها صوت عالٍ جدًا أفزعها . خرجت لتجد (ولاء) ترفع صوت التسجيل بأغنية هادئة ، وهى جالسة أمام رسومها . خفضت الصوت .

- إن أردت أن تصابى بالصمم فعلى الأقل لا تصيبينى به معك ، ركبى السماعات على أذنك وارفعى الصوت كما تحبين .

- حاضر .

حملت الكلمة ضيقًا واختناقًا ، راقبتها (وفاء) وهى تأخذ الشريط من التسجيل لتضعه فى (الوكمان) الخاص بها - بتعجب ، ثم قالت فى استسلام :

- ماذا هناك ؟

- لا شىء ولا أحد ، لا يوجد (بابا) ولا (نانا) ، ولا حتى (مودى) .

- وماذا بعد ؟

- اتركينى وشأنى ، إذن أفعل ما أريد .. ومع ذلك سأفعل أنا ما تريدين . ألم أقل لك حاضر ؟! ماذا تريدين منى أكثر من ذلك !

- سيعودون جميعًا يا (ولاء) .

- صح .

أومأت برأسها فى ضيق ، ووضعت السماعات على أذنيها ، ونظرت أمامها كى تتفادى نظرات أختها .. عادت (وفاء) إلى المطبخ وهى تقول لنفسها : لا فائدة فى الحديث معها .

فكرت أن الأحسن أن تتركها حتى يعود الجميع بالفعل ، أو حتى تعود (ناهد) بالذات .

دخلت على (ولاء) بعد فترة لتجدها كما تركتها . جلست بجانبها ورفعت السماعات عن أذنيها .

ـ اذهبى لتحضرى (محمد) .

ـ حاضر .

نظرت لها (ولاء) فى لا مبالاة ..

لكن (وفاء) أمسكت لسانها ، تعرف أنها لو قالت أى شىء الآن فستحدث مشاجرة عنيفة بينهما ، كان من الواضح مدى حساسيتها واستعدادها للانفجار .. خرجت لتشغل يديها فى أى شىء حتى سمعت الباب يصفق ..

ذهبت إلى حجرتها وتمددت على السرير . لم يعد هناك داع لتتظاهر بأن هناك ما يشغلها ، أو بأنها هادئة ومتماسكة ، أو بأنها واثقة من أى شىء ، لم تكن تدرى ماذا تفعل وشعرت بالاختناق .. معقول ألاَّ تعود (ناهد) !! معقول أن والدها يريد الانفصال مرة أخرى ؟! وأنه سيقبل وجود ضحيتين أخريين ، طفلين لا ذنب لهما يعيشان مرارة الطلاق ، ويذوقان مرارة اليتم ، وأبوهما وأمهما على قيد الحياة ؟!

.. ستعود (ناهد) . لابد أن تفعل فقد وعدت .

فكرت (وفاء) فى أمل ثم رفعت سماعة التليفون وبدأت فى طلب رقم والدة (ناهد) وهى تتساءل : هل هذا صواب أم خطأ ؟ ما إن سمعت الرنين فى الطرف الآخر حتى وضعت السماعة بسرعة .

ماذا ستقول لها أكثر مما قالت ؟ فلتتركها تريح أعصابها قليلاً وبإذن اللَّه ستعود ، وإن لم تفعل ستتدخل لدى والدها بشكل أو بآخر لحل المشكلة . فلن تترك مأساتها تتكرر مع (محمد) أو الطفل القادم .

لم تشعر بشىء بعد ذلك ، سقطت نائمة دون مقدمات .

ـ (وفاء) استيقظى .

شعرت بأختها توقظها .

ـ قومى هناك تليفون .

ـ ماذا !؟ منْ .

ـ إنه (علاء) .

اعتدلت جالسة .

ـ كم الساعة .

ـ الساعة السابعة (وعلاء) على التليفون .

ـ هل عادت أبلة (ناهد) .

ـ لا ، لكنها اتصلت وقالت إنها قادمة .. (وفاء) !!!

قالت (ولاء) بإلحاح :

ـ ماذا

ـ أقول لك (علاء) على التليفون .. ألا تسمعين ؟!

ـ حاضر .

قامت لترد .

ـ آلـو ..

حياها وسألها إن كان يتصل فى وقت غير مناسب ؟

ـ لا أبدًا .

ـ سأمر عليك بعد ساعة ؟ هل يناسبك هذا ؟

سكتت . لم ترد . كانت تريد أن تطمئن على عودة (ناهد) ، لكنه كان تقريبًا يخبرها أكثر منه يسألها .

ـ (وفاء) أمازلت معى على التليفون ؟

أفاقت لنفسها .

ـ نعم .

ـ سأمر عليك بعد ساعة ؟ هل ستكونين جاهزة .

ـ بإذن اللّه .

أغلقت السكة ، وفكرت فى أنها لاتريد أن تتزوج .

أفاقت على نداء (ولاء) :

ـ (وفاء) ماذا بك ؟

ـ لا شىء .. أتعرفين يا (ولاء) ..

سكتت دون أن تكمل كلامها ، فتعجلتها أختها :

ـ ماذا ؟!

ـ لاشىء .

رجعت عن رأيها . ماذا ستخبرها ؟ أنها ترى أن الزواج فكرة سيئة .. إنها تخاف أن ينتهى بها المطاف لشجار لاينتهى، أو أن يتفجر الأمر وينتهى بالانفصال ..

بدأت تجهز ملابسها التى سترتديها ، وعقلها يفكر فى أبيها وزوجته ، ويدها على قلبها من القلق .. الصمت يملأ البيت ، حتى (محمد) ، بل عليها فى الحقيقة أن تقول حتى (ولاء) صامتة تترقب ..

استعدت (وفاء) للخروج لتشغل نفسها فى شىء .. أطلت عليها (ولاء) .

ـ هل ستخرجين ؟

قالتها فى بؤس جعل (وفاء) تشعر بألم فى صدرها ، وأحست بالذنب .

ـ لا أريد أن أخرج وأترككما ، لكن أبلة (ناهد) قادمة على أى حال .

دعت الله فى سرها أن تأتى (ناهد) قبل أن تخرج .

ـ أين (محمد) ؟ لم أره .

ـ فى حجرته ، يلعب مع نفسه .

ـ هل تناولتما الطعام ؟

تذكرت (وفاء) فجأة أنها نامت دون أن تأكل أو تقدم لهما الطعام .

ـ طبعًا أكلنا ، مرة واثنتين .

نظرت لها (وفاء) بتعجب مبتسم من طريقة ذكرها لذلك ، وكأنه واجب ثقيل وممل .

ـ هل كان طهوى سيئًا لهذه الدرجة !!

ـ لا ..

تنهدت (ولاء) بقوة وحركت كتفيها ورأسها فى لا مبالاة .

ـ لم يكن لدينا شىء آخر نفعله .

انتبهت على صوت بوق السيارة .

ـ سأذهب الآن .

مشت متثاقلة ، ما إن فتحت البـاب حتـى أطـل (محمد) من حجرته .

ـ ألن تأخذينى معك ؟!

قالت فى ألم :

ـ لا أستطيع .

ـ لماذا ؟ إن ماما ليست هنا كى ترفض .

ـ لكن هذا لايعنى أن نفعل شيئًا نعرف أنها لاتوافق عليه .. أليس كذلك ؟!

أومأ لها فى خيبة أمل كسرت قلبها ، فكر قليلاً ثـم قال .

ـ إذن أحضرى لى (حاجة حلوة) .

ـ حاضر .

أغلقت الباب وراءها فى ضيق ونزلت على مهل . ركبت السيارة دون أن تستطيع محـو ملامـح الضيق من على وجههـا ، لم يتحـدث معهـا حتى وصـلا إلى

المطعم ، لـم يكـن بعيـدًا ، جلسـا وذهـن (وفـاء) لايزال سارحًا فى (ناهد) .

ـ أمازال موضوع عقد القران يقلقك ؟

انتبهت (وفاء) وقالت فى دهشة :

ـ لماذا :

ـ موضوع السرعة .

لم تستطع تركيز تفكيرها ، شىء واحد كـان يملـك جميع حواسها الآن .. (ناهد) ، فقالت أول ما خطر ببالها :

ـ لا أبدًا .

ـ إذن ، ماذا بك ؟

ـ إنه أمر بسيط .

ـ ولا يمكن أن أعرفه !

ـ لا . فقط إنه ليس بهذه الأهمية .

ـ مادام يشغلك فهو بهذه الأهمية .

قررت أن تخبره ، على أى حال الموضوع ليس بهذه السرية .

ـ كل ما فى الأمر أنى كنت أريد أن أطمئن على وصول أبله (ناهد) إلى البيت قبل أن أخرج . لكنى لم ألحق بها .

ـ لكنى لمحتها تتجه ناحية البيت ونحن مغادرين ، وظننت أنك لاحظتها أنت الأخرى .

ـ حقًا .

تنهدت (وفاء) فى راحة وارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة .

ـ لو أعرف أن هذا الخبر سيزيل الضيق من على وجهك ويبدله بهذه الابتسامة الرائعة ..

لم يكمل كلامه ولم تجرؤ على سؤاله عن باقى الجملة وماذا لو عرف ؟

بعد لحظة سألها .

ـ هل أنت جائعة .

ـ جدًا .

ابتهجت وانعكس ذلك عليها ، أكلا كثيرًا وتحدثا كثيرًا هو بالذات تكلم ، حكى لها عن حياته عن أحلامه وخاصة عن طموحاته .

شعرت بأنها اقتربت منه ، أخذت حريتها فى مراقبته وهو مشغول فى الحديث ، وتابعت كل كلمة قالها ، وشاركته الحديث مستمتعة بكل لحظة فى لقائهما هذا .

* * *



١٠

تساءلت (وفاء) وهى ترتدى ثوب زفافها : كيف قبلت بذلك ؟ وقبل بدء الدراسة بأسابيع ..

كيف سُلبت منها إرادتها لتجد نفسها ترتدى الثوب الذى اشتراه لها أبوها ، ومضطرة إلى الذهاب مع الزوج الذى اختاره إلى منزل لم تره سوى مرة أو اثنتين ، لم تختر فيه شيئًا ولم تألفه . كان مع (ولاء) كل الحق عندما حذرتها من أنها ستجد نفسها وقد تزوجت دون أن تدرى بمجرد أن قبلت الخطوبة وكأنها شدت طرف الخيط ..

كيف خدعت نفسها بأنها اتخذت قرار الحياة مع أبيها ؟ أو وافقت على الزواج ، إن كل ما حدث كان استسلامًا لإرادة أبيها لا أكثر ..

هل كانت فى حلم ؟! بل كابوس طويل .. عليها أن تفيق الآن وفورًا قبل أن يصبح الوقت متأخرًا جدًا ، ولا يوجد وقت للتراجع .

أين إرادتها ؟؟ وعزيمتها ؟؟ شعرت بَغضب يملأ جسدها وبفكرة تتكون فى ذهنها ..

ماذا يجبرها على القبول ؟ لماذا عليها أن تستسلم لما يريده أبوها ، وتتمنى أن تعيش فى سعادة ، أو تحارب من أجل تحقيقها ؟

لماذا لايحدث ما تريده هى ؟ لماذا لا يتأخر الزواج وتطول الخطوبة حتى تعرف (علاء) جيدًا وتدرسه وتألفه ؟ لماذا ؟؟

إن هذا كله خطأ .. كل ما حدث ، وما بنى على خطأ فهو خطأ ..

* * *

عندما دخلت الشقة مع (علاء) شعرت بأنها تريد أن ترمى خلفها دموع (ولاء) ودموع أمها وابتسامة أبيها المزهوة الواسعة ، وحنان (ناهد) وتعلق (محمد) فى ذيلها ..

شعرت بأنها تريد أن ترمى شعورها بالعجز ، ودموعها المتحجرة ، إحساسها بأنها تركت آخر فرصة لها

١٠ م ٦ - زهور عدد ٩٤ / القرار الصعب ٢

تمضى دون أن تستغلها ، أو حتى تحاول مجرد المحاولة أن تنتهزها ، شىء لن تنساه أبدًا ولن تغفره لنفسها ما عاشت .

دخلت الحجرة لتُبدل ملابسها بينما ذكر (علاء) شيئًا عند إحضار طعام العشاء ..

وجدت نفسها تترك رداء النوم المجهز على حافة السرير ، وتفتح الدولاب باحثة عن ملابس للخروج ، ارتدت تاييرًا وأخذت حقيبة يد وخرجت دون أن يشعر (علاء) بها .. كانت تتصرف وكأنها واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، وبقدر غليان أفكارها بقدر هدوء حركاتها ركبت تاكسيًا إلى محطة القطار فى رمسيس . شعرت بقلبها منقبضًا ، قررت ألا تركب القطار ، سألت سائق التاكسى أن يأخذها إلى طنطا ..

نعم . كانت تعرف أين ستذهب بالتحديد ، لا لأمها ولا لأبيها ، لم تعد تحت سيطرتهما ولا مسئوليتهما .. تخليا بمحض إرادتهما عن هذه المسئولية ولن تعيش وتكرر مأساتهما ، ولن تصنع مأساة جديدة لنفسها ..

ربما تحركت متأخرًا ، ولكن ذلك أفضل من ألا تتحرك على الإطلاق ، مجرد شعورها بأنها لم تضع فرصتها ـ تمامًا ـ فى التراجع أشعرها بأمل ، وبقدرة على الاستمرار ..

مدت يدها فى حقيبتها لتتأكد من وجود النقود وسلسلة المفاتيح ، لم تحضر ملابس ولا أى شىء ، فى الحقيقة هى لاتحتاج إلى أى شىء . لاتحتاج إلا لأن تكون وحدها .. بعيدًا عن الجميع وبخاصة أبيها ، وعندما تخرج من هذه المحنة تعرف أنها ستجد بداخلها القوة الكافية لمواجهة الجميع وبخاصة أبيها ..

ركزت تفكيرها فى ألا تفكر فى شىء بالتحديد ، جعلت رأسها يدور ويدور دون أن ينشغل بأمر محدد .. السفر فى هذا الظلام ، وفى سيارة جعل قلبها ينقبض أكثر .. أدار السائق التسجيل فجأة فانتفضت ، لم ينتبه لها ، فقد كانت تجلس فى الكرسى الخلفى خلفه مباشرة ..

لم تسمع كلمات الأغنية ، فقط شعرت بالموسيقى والإيقاع ، شعرت بالإرهاق الشديد يملؤها ، يدفع

بالنوم إلى عينيها دون أن تستطيعه فعلاً ، وحالما استسلمت لهذا الشعور فاجأها صوت السائق يبلغها بأنهما وصلا طنطا ، ويسألها أين تريد الذهاب .. وصفت له الطريق .

فتحت الباب ودخلت فى الظلام .. تحسست مكان أكباس (فيوزات) الكهرباء ورفعتها ، ثم أضاءت النور .. جلست فى حجرة النوم على حافة السرير وأمامها المرآة

بدا وجهها غريبًا بطبقات المكياج الكثيفة ، وتسريحة الشعر المعقدة فوق التايير البسيط .. نزعت مشابك شعرها لتتركه ينسدل على كتفيها .. حركت رأسها لتتخلص من الإحساس المزعج بالتقيد ، وبدأت فى تمشيط شعرها بهدوء كى لاتشعر بالألم .. قامت وغسلت وجهها جيدًا ..

نظرت فى ساعتها فأدركت أن الفجر أوشك على الأذان ..

توضأت وبحثت عن مصحف لتقرأ فيه قليلاً حتى يأتى وقت الصلاة ..

أطالت السجود ودعت اللّه كثيرًا أن يرحمها ويهديها ، وأن يُلهمها الصواب .. ترى ما هو الصواب ؟ سألت (وفاء) نفسها قبل أن تغرق فى النوم ..

فى الصباح زادت حيرتها ، وفكرت ، كيف واتتها الجرأة ؟؟

على أى حال لم يعد هذا يهم ، فقد تأخر الوقت كثيرًا على هذا التساؤل ..

سمعت دقات على باب المنزل . لم تصدق أذنيها ، تجاهلتها للحظات معتقدة أنها مجرد دقات فى الخارج ، بعد لحظة أصبحت الدقات أكثر إلحاحًا .. وقف (علاء) على باب الشقة ينظر إلى الضوء المتسرب شاعرًا بأمل فى نفسه أنه قد وجدها .. بدأ الهدوء والاطمئنان يتسللان إلى نفسه ، وصوت الخطوات الهادئة ، المترددة ، غير الواثقة يقترب من أذنيه ..

لم يكن يريد إخافتها ، أراد أن يطمئنها ويطمئن عليها وبأنها بخير ، أراد أن يخبرها أنه يريد أن يسمع ، ويفهم أسبابها ..

فتحت الباب . بعد وقت خيل إليه أنه دهر كامل .. أطلت فى هدوء .. نظر إليها غير مصدق . أهذه الفتاة الصغيرة زوجته !!

كانت تبدو بوجهها المغسول وشعرها المضموم صغيرة وبريئة بشكل لا يُصدق .

رفرفت رموشها بسرعة وهى تنظر إليه ، لم تعرف فيم تفكر أو لماذا ..

بعد لحظة ملأ رأسها تساؤل قوى ، كيف وجدها ؟ نظرت خلفه لترى هل معه أحد ؟ فى من كانت تفكر ؟ من سيأتى معه ؟ والدها ؟؟

لم تشعر بأنها أخطأت ، وماذا لو جاء والدها فالتواجه مرة وللأبد ، ربما ليس لها أن تحاسبه على تركه لأمها أو زواجه من أخرى أو رغبته فى

أن تعيش تبعاته معه ، بل ربما هذه الأشياء لاتستدعى أن تحاسبه عليها من الأساس ، لكنه زوّجها دون كامل إرادتها ، زوجها وهو يعرف أنها لم تحزم أمرها بعد ، ماذا سيحدث لها أكثر من ذلك ؟ ماذا سيفعل بعد ذلك ؟ وهل هناك ما يفوق هذا ؟؟

اقترب (علاء) من الباب ، فتراجعت بآلية ، هل كانت خائفه ؟

تساءلت ، ولكن حتى هى نفسها لم تكن تعرف .. كانت مرتبكة تشعر بأنها تائهة .. أما خائفة فهذا مالم تكن تدريه .

دخل (علاء) الشقة وأغلق الباب خلفه . شعرت بانقباض فى أمعائها ، تراجعت وجلست على أقرب مقعد قابلها ، كان ذهنها فارغًا يعمل دون أفكار محددة .. فليكن ما يكون .. هذا ما استقر عليه عقلها فى نهاية الأمر ..

استند (علاء) إلى ظهر المقعد المواجه لها ، لأول مرة تنتبه إلى أنه مازال ببذلة الزفاف ، كان الجاكت

مطويًا بين يديه ، ورابطة عنقه محلولة قليلاً ، ربما كما هى من لحظة دخل إلى الشقة معها مساء أمس ، فقط ربما فك زرارًا أو اثنين .. أبعدت عينيها عنه .. وانتظرت .

لم يتحدث . انتظرته يبدأ هو الكلام .. ينفجر أو لا ، لن يعنيها الامر .

يصرخ يزأر لن تخاف ، إنها لن تسمح لأحد أن يملى عليها إرادته بعد ذلك ، لن تسمح لأحد أن يسلبها إرادتها ويحدد لها خطواتها ، أن يسلبها فرصتها فى ذكر ما تريد فى المناقشة ..

خرج صوته هادئًا لدهشتها .

ـ لماذا ؟

لم يقل أكثر من هذا .. جلس على المقعد فى مواجهتها .. مد يده ليلمس يدها فأبعدتها بآلية ، شعر بألم فى صدره من حركتها تلك لكنه تجاهله .. حرك نفسه إلى حافة المقعد ليصبح أقرب ويواجه

عينيها .. لم تحتمل الصمت أكثر من ذلك ، قالت بعد أن أخذت نفسًا عميقًا :

ـ أريد أن أكمل تعليمى أولاً .

كانت تعرف أن فى الأمر أشياء أخرى لكنها ذكرت أول ما خطر لها .

ـ ولماذا لم تخبرى والدك بذلك ؟

ـ أخبرته لكنه لم يسمعنى .. لم يهتم .

ـ ولماذا لم تخبرينى ؟!

ـ لقد ....

سكتت فاستعجلها .

ـ لقد ماذا ؟

ـ لقد أخبرتك من قبل أنى لا أفهم سببًا للتعجل .

ـ لكنك لم تخبرينى أنك ترفضين الزواج .

قال هذا فى بطء فردت عليه متلعثمة :

ـ أنا .. أنا لا أرفضه .

أطرقت برأسها فى خجل .

ـ إذن ما الأمر ؟؟

ـ لقد أردت وقتًا أكثر .. فترة خطوبة معقولة .. أنهى دراستى وأتعرفك أكثر .

ـ هل تخيلت للحظة أنى سأقف فى طريق تعليمك ؟ أنى سأعوقك ؟ أن إتمام تعليمك غير مهم لى ؟؟

بدا مجروحًا ، أكمل :

ـ كل هذه السنين وتحتاجين لوقت أكثر ..

ـ أنا .. أنا لم أتعامل معك كل هذه السنين .

قالت ذلك مدافعة عن نفسها .

ـ لو كنت أخبرتنى .. لو كنتِ تعرفين كم أهتم لأمرك .. كم أحبك ..

رفعت رأسها لتنظر إليه مبهوتة فتهدلت خصلة من شعرها فى يده وأزاحها للوراء ، لم تتحرك فقط فكرت فى تصريحه لها ..

أجاب على سؤال لم تسأله :

ـ لن تصدقى لو أخبرتك منذ متى .. منذ تلك المرة التى رأيتك فيها وأنت بمحطة القطار تنتظرين لآتى وآخذك لوالدك ..

عندما رأيتك فى هذه اللحظة ..

وأنت تتسلحين بالعداء لإظهار قوتك ..

وتحاربين نفسك لتظهرى أكبر من عمرك الحقيقى ..

لا أستطيع أن أصف كيف بدوتِ ، أنت الطفلة الصغيرة ..

كنت كجندى مهزوم يخرج من ميدان المعركة منسحبًا ، محاولاً أن يفعل ذلك بأكبر قدر من الكرامة ..

لقد أشفقت على طفولتك فى هذا اليوم ، من إحساسك بأنك منبوذة ، غير مرغوب فيك ، أو حتى مكروهة !!

بأنك أخذت خطوة لارجوع بعدها ..

كنت تمسكين (ولاء) وكأنها ابنتك لا أختك التى لا يفصلك عنها سوى سنتين .. كنت تحيطينها وكأنك تستطيعين حمايتها من شرور العالم ..

لا أستطيع أن أصف لك مدى تأثرى بكل هذا .. إن هذه اللحظة وهذا المشهد حُفر فى ذاكرتى ولن ينمحى أبدًا ..

لقد أقسمت لحظتها أن أفعل ما فى وسعى لأمحو شقاءك هذا وأعيد البسمة إلى شفتيك .

تأثرت (وفاء) بشدة من كلماته ، لكنها لم تظهر له تأثرها .. وبدلاً من ذلك قالت فى ألم :

ـ إن لك أسلوبًا عجيبًا فى فعل هذا .

قال فى أسف :

ـ ذلك أنك لم تعطنى فرصة وعاملتنى كعدو .

دافعت عن نفسها بشدة وقد أربكها كلامه فقالت :

ـ أنا .. أبدًا لم أفعل .

ـ هل خطر ببالك حقًا أنى سأعطلك عن الدراسة ؟

هربت بعينيها منه .. أدرك تهربها من السؤال .

ـ لماذا هربت .. لماذا لم تصارحينى لنفكر معًا ونجد حلاً للمشكلة ؟

قالت فى هدوء :

أنا لم أهرب .

ـ لم تهربى ؟ إذن ماذا فعلت ؟

ـ لقد مارست أبسط حقوقى .. حقى فى أن أفكر على مهل ، أن أتخذ قرارى بنفسى ، أن يُستمع لرأيى .

ـ وهل أنا انتهكت حقوقك تلك .. هل رفضت أن أمنحك الوقت ، أو أن أستمع لك ؟ حقوقك كل ما فكرت فيه وحسب ؟ وأنا أين حقوقى ؟ أم أنى لم أخطر ببالك ؟!

ـ أنا لا أتهمك بشىء .. إن أبى استعجلنى . لم يترك لى فرصة ..

ونعم فكرت فيك وفى حقوقك ..

نظر لها فى شك فأكملت :

ـ نعم حقوقك فى ألا تعيش حياة فاشلة ..

ـ آه يا (وفاء) !!

تألم من مشهد الدموع المترقرقة فى عينيها ، والتى كتمتها كى لا تسمح لها بالانهمار ، وكشف ضعفها ، قامت وجلست على الأريكة لتبتعد عن عينيه ..

ـ ومن منا لا يخاف الفشل ؟!! ، لكن هذا لا يدفعنا للانعزال والتقوقع ، بل المحاولة يا (وفاء) .. أنا أ ..

ارتج لسانه ولم يعرف كيف يكمل .

فكرت فى أن تغيّر الحديث لتدير ما قاله فى عقلها قبل أن ترد عليه .

ـ من أين عرفت أنى هنا ؟

نظر إلى صورة لها هى وأبيها وأمها وأختها موضوعة على مائدة صغيرة .

ـ أعرف كم تحبين هذا البيت ، استنتجت أنك توجهت إلى هنا بعد تفكير عميق ، وقررت أن أجرب حظى .

ضحك فى ألم وقال :

ـ لن تعرفى كم استغرقنى هذا ..

استطرد بعد لحظة :

ـ هل هذا ما تريدنه ؟ منزلكم القديم قبل الانفصال ؟

أغمضت عينيها وفكرت ، ومن أين لها أن تعرف ماذا تريد ؟!

ـ هل أخبرت .. أبى ؟

قام وجلس بجانبها على الأريكة .

ـ لا لم أخبر أحدًا ، أنت زوجتى الآن .

شعرت بالراحة ، ولدهشتها لم يبد تصريحه غريبًا

على أذنها ، زوجته ؟! أول مرة تسمعها ، لكنها لم تستغربها ، ربما لتلقائية نطقه بها..

أسند رأسه إلى الأريكة بجانبها وسكتا هما الاثنان دون شىء يقولانه ، واستغرق كل منهما فى أفكاره ..

* * *





حاولت (وفاء) أن تقوم ، فشعرت بدوار قوى ، فعادت تجلس ، فنظر إليها قلقًا .

ـ ماذا بك ؟

سارعت بطمأنته :

ـ دوار بسيط .

ـ بالتأكيد من قلة الطعام ، هل أكلت شيئًا .

هزت رأسها نفيًا.

ـ كنت متأكدًا من هذا ، على أى حال أنا أيضًا لم آكل شيئًا منذ أمس .

تبادلا النظرات . نظرة عينيه أخبرتها عن عشاء العرس الذى تركته فى بيتهما ، فشعرت بغصة فى حلقها .

ـ (وفاء) ماذا تريدين ؟؟ ماذا ستفعلين .. إلى أين ستذهبين من هنا ؟

نظرت إليه فى وهن وحيرة . كانت نظرتها تقول : إلى أين سأذهب إذا تركت هذا البيت ؟ لم تكن تعرف مأوى آخر ، أو هكذا خيل لها فى هذه اللحظة ..

خفضت عينيها وفكرت فى نفسها : ماذا أريد ؟ وهل أعرف أنا ماذا أريد ، وعلام أنوى ؟

« أنت أدرى بما يجب عليك فعله .. إنه قرارك وعليك أن تأخذيه وحدك . فكرى فى الصواب وتمسكى به » .

رنت فى أذنيها كلمات أمها ، نصيحتها ، هل هى قادرة على تحديد الصواب ؟ هل هى فعلاً أدرى بما يجب عليها فعله ؟

ـ هل تريدين الانفصال ؟

سألها بعد أن طال انتظاره لإجابتها دون جدوى ،

سألها وهو يعرف جيدًا أن هذا الحل مستبعد ، وليس بسهوله قوله ..

صدمها السؤال ، فبرغم أنها كانت ضد الزواج بهذه الطريقة إلا أنها تذكرت أحلامها فى أن تصنع السعادة ..

تنفصل دون محاولة لإنجاح هذا الزواج ، وهى من كانت تعتب على والديها عدم محاولة إنجاح زواجهما ؟

بدأت فى البكاء ..

أخرج منديله وبدأ يمسح دموعها . خفضت رأسها فرفعها ..

ندم على سؤاله ، لماذا لم يعطها وقتها لترد ؟ لماذا سألها إن كانت تريد إنهاء الزواج ، ولم يسألها إن كانت تود الاستمرار فيه ؟

ـ أنا أ ....

خرجت الكلمة من فمها مرتعشة حائرة لكنها شعرت بأنه ينتظر منها ردًا ما ، وأن عليها أن تجيبه ، لكنه قاطعها :

ـ لا تقولى شيئًا يا (وفاء).. لا تقولى شيئًا .. أنا أفهم وأعرف ما تريدين قوله ، أفهم حيرتك صدقينى .. أفهمك وربما أكثر من نفسك .

نظرت لها متشككة فأكمل :

ـ صدقينى أفهم كيف تريدين وما لا تريدين فى ذات الوقت ، تقبلين وترفضين ، تحبين وتبغضين .. أفهم كل ذلك . أنا لا ألومك .. معك حق ، الآن أدرك أنه لم يكن لديك الوقت الكافى لتأخذى قرارك أو لتعتادى علىّ ، يبدو أنى اكتفيت بأنى أعرفك جيدًا ، ولم أعطك أنت الفرصة الكاملة لمعرفتى ..

أنا لا أريد أن أحملك أكثر من طاقتك ، وأضع أمامك قرارًا أكبر من تفكيرك الآن .. لا أريد أن أدفعك لفعل شىء تندمين عليه فيما بعد .. أنا مستعد لإعطائك الوقت الذى تحتاجين إليه . سأعطيك

الفرصة لو أعطيتنى أنت الأخرى فرصة .. شىء واحد أريد أن تعرفيه جيدًا .. أنت زوجتى وأنا أحبك .

نظرت إليه فى خجل من حرارة نطقه بالكلمات ..

مد يده وأحاط كفيها وأكمل وهو ينظر بعمق إلى عينيها :

ـ ومع ذلك أنا لا أريد سوى سعادتك ، وإن كانت فى البعد عنى فلا بأس .

تغيرت نبرته وهو ينطق بالكلمات الأخيرة ، كانت حزينة يائسة ، حركت مشاعر (وفاء) أكثر وأكثر ..

كان قريبًا منها جدًا بدت هالات سوداء أسفل عينيه لم تلحظها من قبل ، وأكسبه الإجهاد سنين فوق سنى عمره ، كان شعره فاقدًا لتنظيمه من كثرة ماعبث به ، أول مرة تراه على هذه الهيئه . كان دائمًا مهندمًا منظمًا كل شىء فيه فى

مكانـه .. وفـى حفـل الزفـاف كـان فـى قمـة أناقتـه وتألقه .

أين الصواب وأين الخطأ ؟ سؤال أبدى ، نسبىّ فى أحيان كثيرة ، وله أكثر من وجه ..

نظرت إليه كأنما لتسبر أغواره ، بدا صادقًا فيما يقول ، مقتنعًا بـه ، رد على نظراتها . كـان يدرك أنها قد تشك فيه . هو نفسه شك فى نفسه ، ربما أكثر منها ، هى أحست بأمانته معها ، لكن هو شك فى أمانتـه مـع نفسـه ، شك فـى أن بإمكانـه أن يتركهـا تذهب ، فى أن ينفصل عنها ..

نعم هو يحبها حبًّا كبيرًا ، ويحب لها الخير ، لكن هذا لا يعنى أنه يقوى على بعدها ..

لقد كـان يحلم بهذا منذ زمن طويل ، ربمـا منذ رآهـا لأول مـرة فـى طنطـا ، وهـى بعد صغـيرة لـم تتجاوز الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، مست شيئًا فى أعماقه لم يكتمل إلا مع قدومها إلى القاهرة .

مـس جبهتـه فـى ألـم واعتـدل فـى جلسته وأرجـع رأسـه للـوراء .. شـعرت مـع حركتـه هذه بـألم فـى صدرها ، هل هو مريض ؟؟ وهل هى السبب ؟

قالت فى لهفه لم تنتبه لها :

ـ هل لديك صداع ؟ إن معى مسكنًا ..

فتح عينيه فى بطء ، نظر إليها وابتسم ، ثم ضحك فى قوة ، ابتسمت فى دهشة وسألته :

ـ ماذا ؟؟

مرر أصابعه فى شعره ووضع ذراعه خلف رأسه :

ـ لا شىء ، فقط كلامك وهذا المكان وهذه الجلسة جعلتنـى أظـن أن كـل شـىء طبيعـى ، بـل أكـثر مـن طبيعى ، بأننا متزوجان منذ فتره ..

نظـر إليهـا فـى عمـق وقرب وجهه منها وقـال فـى هدوء وبصوت أجش :

وبأنك تهتمين لأمرى .

خفضت رموشها ، أثرت فيها نبرة صوته وكلماته وما وراءها من أحاسيس ..

أرادت أن تخبره أنها بالفعل تهتم لأمره ، وشعر هو بحاجة ماسة لأن يسمع هذا منها ، لكنها خجلت وشعرت بالاحمرار يغزو وجنتيها ولم تستطع أن تنطق بكلمة .. قامت فى ارتباك وقالت متلعثمة :

ـ سأذهب لإحضار الدواء .

أمسك يدها ونظر لها برقة شديدة فتسارعت دقات قلبها واختنقت أنفاسها .. لم تقو على سحب يدها منه ، نظرت إليه راجية أن يتركها فاصطدمت بابتسامته .. شدها لتعود وتجلس إلى جانبه فقالت فى ارتباك :

ـ المسكن .. إن لديك ... صداعًا .

حاولت ترتيب الكلمات دون جدوى .. اتسعت ابتسامته وأخذ راحتها ووضعها على جبينه المشتعل وضغطها بقوة ، ربما لينقل إليها بعضًا من شعوره بها ..

شعرت بضعف يغزو جسدها مع إحساسها القوى باشتعال جبهته تحت راحة يدها ..

مرت لحظة كأنها سنة ولم تشعر إلا وهو يتهاوى نائمًا .

انتفض فجأة وفتح عينيه .. فوجئ بالظلام ، ولم ينتبه للإضاءة الخافتة فى جوانب الغرفة .. كيف غفا ؟ ماذا حدث له لينام فى وقت كهذا ؟!

لم تكن بجانبه . بحث عنها بعينيه فلم يرها ، شعر بالذعر . هل معقول أنها تركته مرة أخرى ؟ أغرق وجهه فى كفيه .. كيف حدث هذا ؟ لقد اعتقد ..

شعر بيدٍ تمس كتفه رفع رأسه ليجد (وفاء)

تنظر إليه فى لهفة ، تظهر المشاعر الجديدة التى شعرت بها تغزو قلبها ، تطلع إلى وجهها وعلت شفتيه ابتسامة رقيقة وقال بعد أن تنفس بعمق :

ـ أما زلت بجانبى ؟

ـ نعم .

(تمت)

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعاً .
3 ـ قلوب لا تنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لا تغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرأة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعاً يا حبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعاً للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائماً .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبا بالحب .
61 ـ شمعة لا تنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسة حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .
67 ـ جراح الماضى .
68 ـ حبيبتى الوحيدة .
69 ـ آلام الحب .
70 ـ كفانا عناداً .
71 ـ رجل أحببته .
72 ـ نبع الحب .
73 ـ مشاعر دافئة .
74 ـ أشواك الحب .
75 ـ لن أبكى .
76 ـ قلوب حائرة .
77 ـ وداعا للأبد .
78 ـ فتاة جميلة .
79 ـ قسوة وغفران .
80 ـ ليس من أجلى .
81 ـ سحابة صيف .
82 ـ زهرة برية .
83 ـ زهرتى الجميلة .
84 ـ ابتسامة القدر .
85 ـ لعبة الزمن .
86 ـ شاطئ الأمان .
87 ـ فجر جديد .
88 ـ حب وحرمان .
89 ـ ليل ونهار .
90 ـ سأنتظرك دائماً .
91 ـ بعد الانتظار .
92 ـ حب بلا موعد .
93 ـ زواج العمر .
94 ـ القرار الصعب .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



منى منصور

القرار الصعب

عندما أمعنت (وفاء)
النظر فى حياتها تساءلت : هل
حقًا اتخذت أى قرار ؟ أم أن كل ما
فعلته مجرد الاستسلام لإرادة أبيها
وقراراته ؟
أيًا كان ما حدث فى الماضى ، فإن
أمامها الآن قرارًا صعبًا
لتتخذه وحدها ..

94

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٢٥٠ قـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

